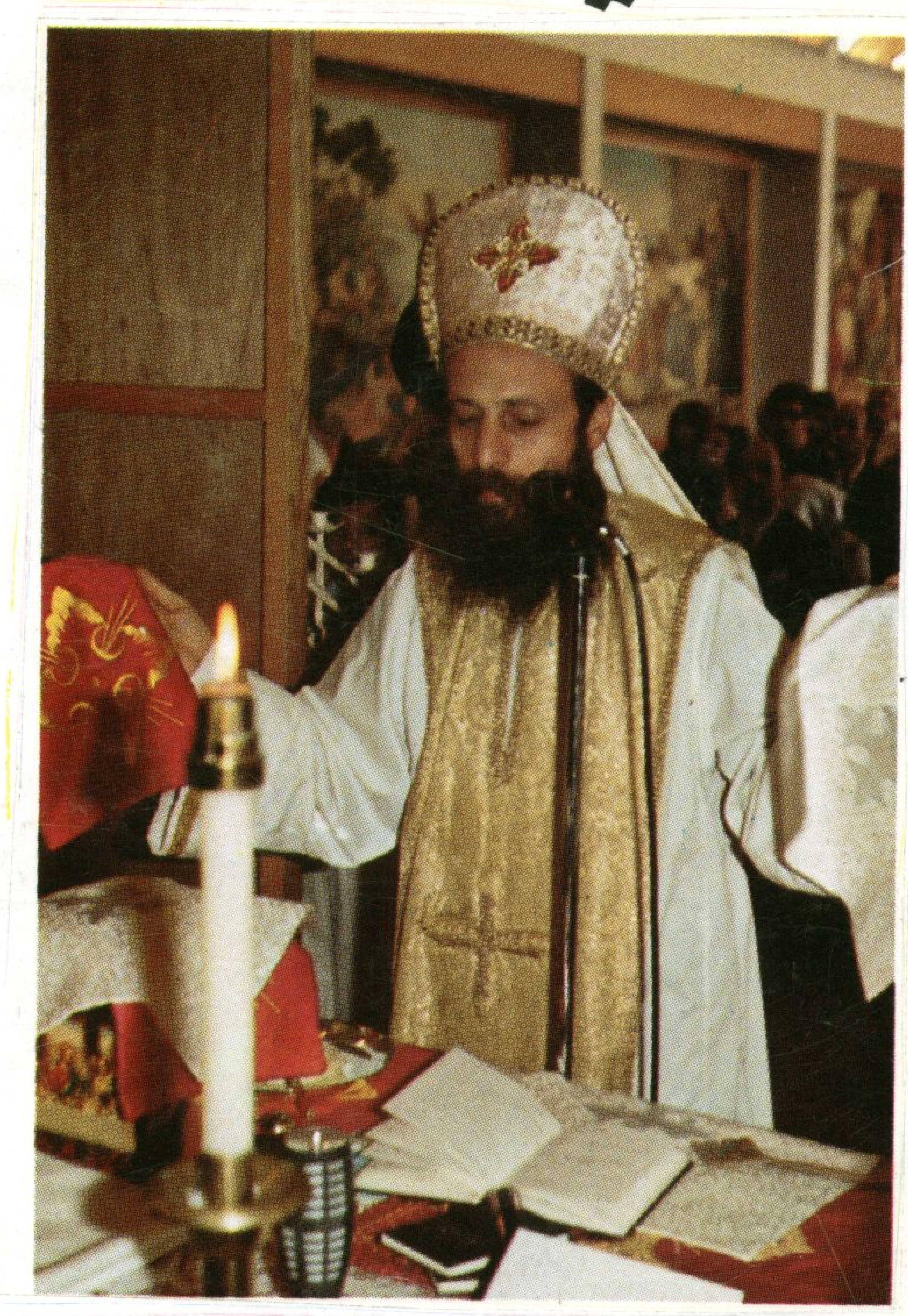
الطريق إلى الحياة

لوندي



للقمص

بيشوى كامل

الطريق إلى الحياة

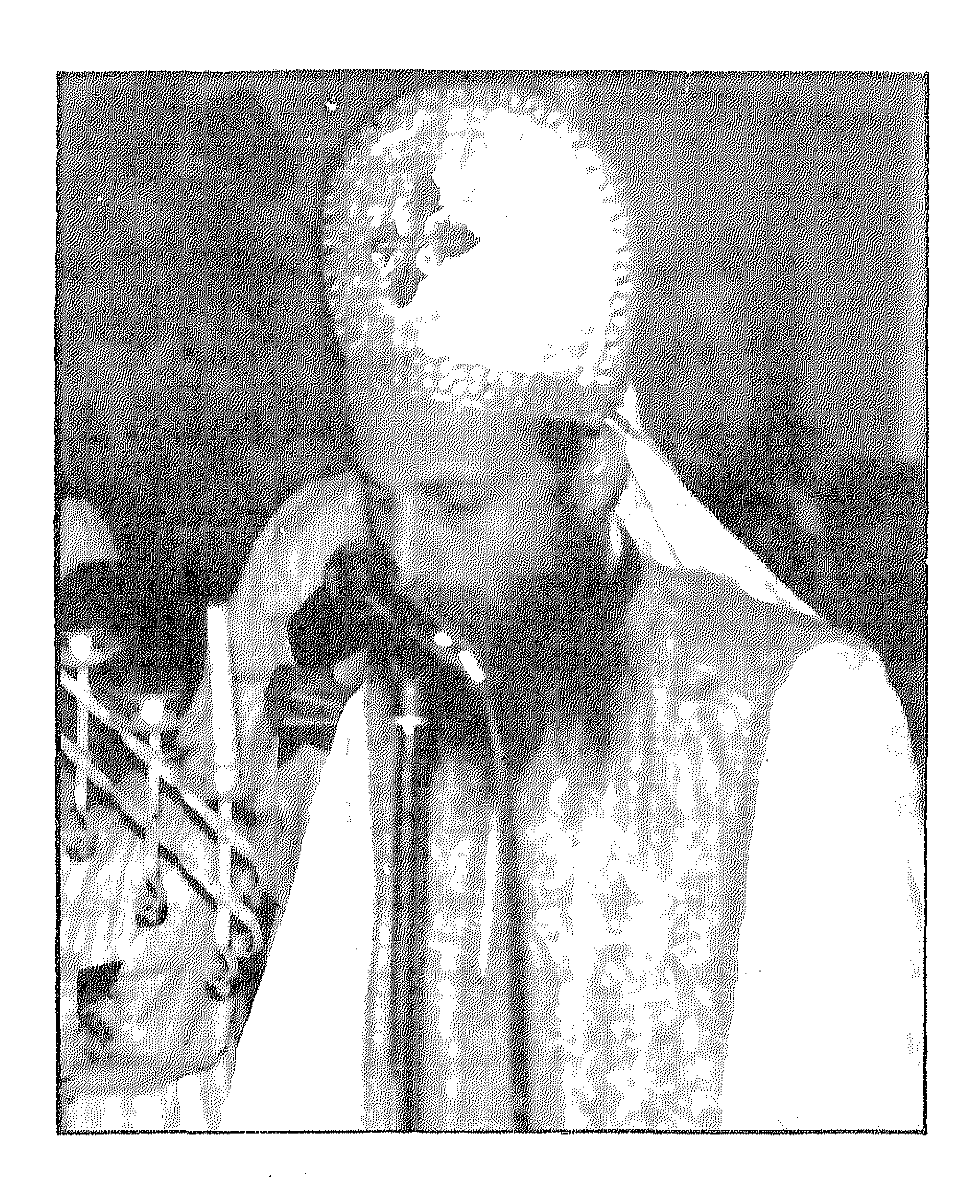
القمص بيشوى كامل

إسم الكتاب : الطريق إلى الحياة
إسم المؤلف : القمص بيشوى كامل
إسم المطبعة : مطبعة الأنبا رويس الأوفست - العباسية القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٩٣٧ / ١٩٧٠



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)



القمص بيشوي كامل

مقدمة الطبعة الأولى

من أراد أن يكون لى تلميذاً

فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى

جاء السيد المسيح ليضع لنا طريقاً إلى الحياة الأبدية ونقتفى أثــر خطواته ولم يكن يتوقع الذين ساروا معه أن الطريق صعب بـــهذا المقدار وربما احتج بعض التلاميذ قائلاً "لو كان الطريق سهلا لكثر اتباع يسوع كما صنعت الديانات الأخرى"، وفى مرة قالوا له مـــن يستطيع أن يقبل؟ ومرة أخرى تركوه قائلين هذا الكلام صعب مـــن يستطيع أن يقبله؟ والأهم من كل ذلك أن يسوع مصمم بكل تـــأكيد على تنفيذ وصاياه كلها إذ أنها الطريق لكى نصير أبناء الله.

فإذا رجعنا إلى الموعظة على الجبل نجد وصاياه صعبة جـداً... من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، أحبوا أعداءكـــم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسـيئون إليكم ويطردونكم، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات.

فإما أن ننفذ هذه الوصية بدقة وإما أن نرفض من بنوة الســـماء حتى ولو كان يدعى علينا اسم المسيح!

وصية أخرى تقول إن كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ويقول السيد المسيح إنه نتيجة لذلك يلقى الجسد كله فى جهنم.

ويؤكد السيد المسيح فى نهاية الموعظة إن الطريق صعب وضيق "أدخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك ... ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة" متى ٧: ١٣، ١٤.

فالسؤال الموجه إلينا أيها القارئ هل نحن فى الطريق؟

وإن لم نكن فماذا ننتفع لو ربحنا العالم كله وخسرنا أنفسنا.

ولكن ما أريد أن أؤكده لك هو أن الطريق وإن كان صعباً فإن حمله هين وخفيف بل ولذيذ وفى متناول أضعف إنسان، لأن المسيح جاء ليخلص جميع العالم الذى يؤمن به، والمسيح وضع طريقة لأقل المستويات علماً وفهماً فبداية الطريق صعبة، ذلك لكى نفك من رباطاتنا مع العالم لأننا لسنا من هذا العالم، أما بعد الدخول فى الطريق فهو انتصارنا، وهو اختبار لقوى جبارة تعمل فى ضعفنا وهو سلام كامل حتى عندما نتقدم للاستشهاد، أما نهايته فهى اتحاد كامل مع الله فنصير شركاء الطبيعة الإلهية وورثة مع المسيح.

إن بداية الطريق احتياج كامل ليعمل الروح القدس فـــى حياتنـــا واحتياج إلى اتحاد بطبيعة أقوى من طبيعتنا الضعيفة - هو اعـتراف بضعفنا والتجاء إلى قوة الله التى تحولنا من انــــاس ضعفـــاء إلـــى أقوياء تحول من " ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت" إلى ... " أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى".

هو إختبار الإيمان وقوته.

أما وسط الطريق فهو حب مقدس يؤدى إلـــى ســلام كــامل، إنتصار، فرح، نمو، وسلام. تأمل معى إنساناً يحب الله ويعيش معه فى سلام هل يصعب عليه تنفيذ وصايـــا الله الصعبــة ؟ إن كـــان الإنسان قد أحب الله ينبوع المحبة فإنه بلا شك ســيحب أصدقـــاءه وأقرباءه وزملاءه، حتى أعداءه. وبالعكس نســـتطيع أن نؤكـــد أن الإنسان الذى يستثقل وصايا الله هو الإنسان الفاتر فى علاقاته مـــع الله، لذلك عندما تفشل فى تنفيذ وصايا الله فأنت فى عدم سلام مـــع الله - بل قل انك تعمل بطبيعتك البشرية الفاشلة وثمرتها الفشل التـام وعليك أن تراجع علاقاتك مع الله أولا قبل أن تراجعها مع الناس.

أما نهاية الطريق فهى الاتحاد الكامل بالمسيح ، بل ستختبر مـــا هو أعمق أن المسيح ذاته هو الطريق وليس أحد سواه، ولو كــــان هناك طريق آخر غير المسيح لما كان هناك ضرورة لمجئ المسيح

والآن تعجب معنا يا أخى! لم يعرف توما الطريق فقال ليسوع كيف نذهب للآب ونحن لم نعرف الطريق ؟! فرد عليه يسوع قائلا فى أسف عميق " أنا هو الطريق والحق والحياة ".

لكن كانت هناك إمرأة خاطئة سكبت الطيب على يسوع فأحبها وغفر لها خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا - وذلك العشار الذى وصل من طريق الإحتياج إلى يسوع فخرج مبررا بعد صلاته، وماذا تقول عن اللص اليمين الذى عرف الطريق بينما لم يعرفه التلميذ ! لذلك أرجو أن تدقق فى حياتك ياأخى حتى ولو كنت تلميذا ليسوع أو خادما كبيرا أو صغيرا. هل أنت فى الطريق؟

ويهمنا جدا أن نقتفى آثار الذين وصلوا فعلا إلى نهاية الطريق فهذا أضمن لنا من أن نختار لأنفسنا طرقا غير مأمونة لذلك عندما نتعرض لشخصيات قابلت المسيح يوما وتحدثت معه علينا أن نضع أنفسنا موضعها منتظرين كلمات الرب لها وكأنها موجهة إلينا.

مدارس أحد كنيسة السيدة العذراء
محرم بك - اجتماع الشباب
سنة ١٩٥٩

مقدمة الطبعة الثانية

هناك كتب كثيرة تملأ الدنيا ولكن هناك كتابا واحـــداً معروفـــا للجميع يسمى "الكتاب" ، ذلك هو (الكتاب المقدس) . كذلـــك لكـــل إنسان طريقة فى الحياة وما أكثر الطرق فى العالم ، لكـــن هنـــاك طريقاً واحداً يعرفه الجميع عندما تضاف إليه أداة التعريف ذلك هـــو "الطريق" المؤدى إلى الحياة الأبدية، ذلك هو يسوع الذى قال عـــن نفسه " أنا هو الطريق والحق والحياة " والعجيب فى هذا الأمـــر أن يكون يسوع هو الحياة وهو فى ذات الوقت " الطريق " المؤدى إلـــى الحياة - وهذا حق - لأنه بدون يسوع لا يقدر أحد أن يصل إلى الآب أو إلى الحياة الأبدية.

ولما كان موضوع الكتاب الذى بين أيدينا هو " الطريـــق إلـــى الحياة " فهو كتاب قديم جديد لأن موضوعه لا يتغير إذ أن يســـوع هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. لذلك رأينا إعادة طباعته لأننا شعرنا أن إخوتنا من الشباب لم تتح لهم قراءته إذ نفذت طبعته الأولى منـــذ أكثر من عشر سنوات.

وهو كتاب جدير بأن يقرأه كل شاب، بل كل مؤمن صادق فـــى إيمانه ورغبته فى السير فى طريق الحياة الأبدية، لأنه يكشف عـــن انحرافات كثيرة نسير فيها، ربما عن غير قصد أو معرفة، فتنحرف

بنا عن " الطريق " فنقضى العمر كله فى جهاد وخدمة واســـتخدام لوسائط النعمة المتعددة المذخرة لنا فى الكنيسة المقدســـة، دون أن نتقدم تقدماً ملموساً فى " الطريق ".

فلنقبل يا أخانا الحبيب على قراءة هذا الكتاب الصغير (حجمـــاً) الكبير (فائدة) بروح التأمل والصلاة الهادئة ليبارك الرب قراءتــك فتستفيد الفائدة المرجوة وتسير بخطوات ثابتة ناظراً دائماً إلى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع.

نطلب لك هذا بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم وصلوات آبائنــا القديسين الأطهار وتضرعات أبينا الطوباوى المكرم غبطـــة البابـــا المعظم الأنبا كيرلس السادس أطال الله حياته.

مدارس التربية الكنسية

بكنيسة العذراء مريم بمحرم بك

طوبة ١٦٨٦ يناير ١٩٧٠.

البَاب الأول

بدَايَة الطريق

+ الإتضاع : " ومن يضع نفسه يرتفع " لو ١٨: ١٤.

+ الجهـاد : " لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية " عب ١٢: ٤.

بداية الطريق ... الإحتياج

دخل اثنان ليصليا فى الهيكل أحدهما فريسى والآخر عشار، أما الفريسى فوقف يصلى قائلا " اللهم أنا أشكرك إنى لست مثل باقى الناس الخاطئين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار، أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه - وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء بل قرع صدره قائلا اللهم إرحمنى أنا الخاطئ، أقول إن هذا نزل مبرراً دون ذاك لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع (لو ١٨).

لو تركنا الحكم للناس لقال الجميع أن الفريسى أكثر براً من العشار وأقل ما يقال أنه أقل خطأ من العشار أما الرب فيرى أن العشار الخاطئ أكثر براً دون ذاك لأنه إنسان متضع معترف بفشله بذاته.

وإذا تأملنا فى شعور الإحتياج نجده اختباراً مزدوجاً، إختبار الإتضاع أولاً ثم إختبار الإيمان ثانياً.

إختبار الإتضاع :

من منا لم يسع فى عمل الخير، حتى ذلك العشار، ولكننا اختبرنا كلنا الضعف فى صنع الخير لماذا لم يحس الفريسى بالضعف وبالإتضاع ؟ لأنه نظر إلى الآخرين "لست مثل باقى

الناس"، أما العشار فنظر إلى نفسه ولم يستطع أن يتطلـــع إلـــى الله لأنه عندما تأمل فى الخطية الساكنة فيه وجدها خاطئة جداً فانسـكب أمام الله مجاهداً ضدها.

[أولاً] كيف نكتشف أخطاؤنا وضعف طبيعتنا ؟

١- **بالتامل الهادئ :** فسقراط يضع هذا المبدأ كبدايـــة لطريـــق الحكمة " إعرف نفسك " ان إنسانا منهمكا فى أمـــور تافهـــة هـــى ارتباكات هذا العالم يبخل بكل أسف أن يعطى نفسه وقتاً هادئاً يتأمل فى ما صنعه فى يومه أو يقف أمام الله معترفاً بخطئه !! كم مـــرة تعهدت أمام الله أن أصنع براً وأصيبت تعهداتى بالفشل. ألا تعلم أن الذى يخطئ يكرر العمل الذى صنعه يهوذا - واليهود - وكل الذيـــن أهانوا المسيح واحتقروه.

كيف إكتشف أوغسطينوس أخطاءه وكتب اعترافاته؟ بتأمله فـــى ماضيه - ولنرى كيف يحلل لنا بولس الرسول مشـــاعره إزاء هـــذا الاختبار ... أما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية لأنى لست أعرف ما أنا أفعله إذ ليس ساكناً فى جسدى أى شئ صالح ...

ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا المـــوت. (رو ٧) إن فترة الخلوة أمر ضرورى ولازم لانكشاف النفس لصاحبـــها ويكفى أن يكون موضوعنا هو أخطاؤنا فى حق الله.

وعلى العكس فإن الذين فى هذا العالم ويهتمون بأجسادهم وبأن يصنعوا بها منظراً حسناً صعب عليهم أن يكتشفوا هذه الحقائق.

لنرجع قليلا إلى العهد القديم لنكتشف ماهية الخطية وما هى آثارها وما هى عملية التطهير اللازمة للخلاص منها.

كان الخاطئ يعترف بخطئه، ويتطهر من ذنبه، ويقدم ذبيحة خطية وإثم من أجل ذنبه، وكانت النار الموجودة على مذبح المحرقة لا تنطفئ لحظة واحدة شهادة على جرم الخطية وإثمها، ومع كل هذا يا أخى يقول بولس الرسول فى رسالته للعبرانيين: "لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا"، لذلك أتى المسيح وقدم نفسه ذبيحة خطية " **لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة** ".

والخطية فى أية صورة من صورها هى تعد على الله وإساءة للنفس الإنسانية التى خلقها الله على صورته والتى اتحدت بالمسيح وصارت واحدا "أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية حاشا" أعلمت لماذا يتألم المسيح عندما نخطئ؟ لأننا جزء منه "متحدين معه"، وهكذا مات المسيح وقام لكى لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل للذى مات وقام لأجلنا.

لذا يقول النبى "لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت" فالخطية حتى لو كانت مختفية عن الناس فهى موجهة إلى الله-

وهذا أيضاً ما دفع يوسف العفيف أن يرى خطأه مع إمرأة فوطيفار موجهة لله فقال " كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ".

وإن كنت تقف أمام الله فبأى حق تقف؟ " يارب من يسكن في مسكنك أو من يحل في جبل قدسك إلا السالك بلا عيب والمتكلم بالحق في قلبه، إن كانت السموات غير طاهرة أمامه، وإن كان ينسب إلى ملائكته حماقة فبأى جرأة تتقدم إليه؟! إنه طريق العشار -إقرع صدرك قائلاً "اللهم إرحمنى فإنى خاطئ".

كان بولس الرسول يتقدم إلى الله قائلاً "إنه أول الخطاة" لقد وصل بولس إلى معرفة مدى ضعفه البشرى، ورأى الخطية ساكنة في جسده فعلم أنه بذاته أول الخطاة.

٢ - **التامل الهادئ يقود إلى انطلاق النفس:** إن مجرد سكون حركات الجسد وحركات الفكر فى العالم لكاف بأن يجعل النفس تنشط لتعود إلى بارئها الرب يسوع. إن الموضع الطبيعي للنفس هو عند الله وعندما سقط الإنسان انهمك فى خطايا جسده ولكن النفس مازالت تحن إلى الخير الأعظم وهو الله، هذا هو سر الميل الموجود فينا إلى الله وهذا هو سر حبنا حتى ولو لم نفعله. لذلك فإن تحرر النفس يتبع هدوء الفكر، وهدوء الحواس وعدم الانشغال فى العالم. إن هذا الإختبار البسيط لا بد أن تكون قد لمسته يا أخى فى هدوئك وربما

فى خلوة هادئة، كما إنك لا بد قد إختبرت آنه يصعب الحديث البسيط والصلاة إلى الله عندما يكون الفكر منشغلا بالهموم الزائلة وربما اشتكيت مرات أنك لا تستطيع أن تصلى إلى الله. أعرفت السبب؟ إنه عدم هدوء النفس.

٣ - وفى هدوئك وخلوتك ستتحرر نفسك وستحس بخطاياك واضحة وتتلامس مع المسيح.

ستحس بأن يسوع يستطيع أن يبرر الفاجر، وأنه لم يأتِ لأجل الأبرار بل للأثمة وعلى ذلك فقد خلص العشار.

ويكفيك فى خلوتك أن تتأمل فى صليب رب المجد ففى هذا الصليب كسرت شوكة الموت التى هى الخطية، وعلى الصليب وضع إثم جميعنا لكى نقوم مع المسيح بلا خطية، وفى هذا الصليب بيّن الله محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا. وتتجلى محبة الله واضحة عندما نراه قد بذل ذاته من أجل الخطاة، ونحس بجرم الخطية التى صلبت يسوع.

أخيراً ستختم خلوتك بإحساس الإتضاع الكامل.

١- إن الخطية التى نصنعها هى إساءة للمسيح ذاته.

٢- إن كل عمل خاطئ نابع منا لفساد طبيعتنا.

٣- إن كل عمل صالح هو من الله لأنه صالح فى طبيعته.

تدريب :

إهتم بأن تجلس فى هدوء مع نفسك فترة محـــددة مـــن الوقـــت متأملاً فقط في خطاياك - ثم فى صليب المسيح - ودون ما يرشـــدك إليه الرب فى تأملك.

[ثانياً] الجهاد ضد الخطية

" لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية " عـب ١٢: ٤ ولتسأل نفسك هذا السؤال ؟ ألسنا نشترك فى تناول جســـد الـــرب ودمه، وألسنا هياكل لروح الله القدوس الساكن فينا؟ فلماذا نعود إلـــى الخطية؟

الرد على ذلك بسيط جداً أن الله أعطانا حقاً كل هذه الإمكانيـــات ولكن الله لن يفرض علينا خلاصنا بل هو واقف يقرع على الباب- إن فتحنا يدخل ويتعشى - فالخطوة الأولى هى من واجبنا وهى فتـــح الباب - وبعد ذلك يدخل ويتعشى ويصنع عجباً فى حياتنـــا نصـــرة وحباً وفرحاً وسلاماً.

الخطوة الأولى هى ثمرة جهادنا التى هى بداية الطريق، حقاً إننا لا يمكن أن ننتصر وحدنا ولكن الله أيضاً لن يعمل فـــى حياتنـــا إذا رفضنا ذلك ولم نطلبه.

"جاهدوا معى فى الصلوات" هذه الطلبة التى طلبها بولس فى أكثر من مرة فى خدمته فهو يرى أن الله مصدر العطاء لكن الله لن يعطى إلا بالجهاد فى الصلاة. تأمل فى قصة قاضى الظلم عندما قام وأنصف المرأة من أجل كثرة لجاجتها. فلنجاهد فى الصلاة، ولنجاهد حتى الدم ضد الخطية وملذات العالم ولنجاهد لنضبط أفكارنا وأنظارنا وحواسنا فلا نسمح بأن يدخل إلى داخل نفوسنا عن طريق الفكر أو النظر أو الحواس شئ لا يتفق مع قداسة نفوسنا ولنجاهد لكى ما نمتلئ من روح الله القدوس فيعمل فى حياتنا ويعين ضعفاتنا ويحول فشلنا إلى نجاح وضعفنا إلى قوة وسقوطنا إلى نصرة. إن الروح القدس الساكن فينا لن يعمل إلا بالصلاة والإمتلاء والإلحاح فى أخذ بركاته وقوته.

فالنصرة فى حياتنا هى ثمرة جهادنا المؤازر بقوة الروح القدس.

وهنا يجب أن نتذكر دائما أننا لن ننتصر بجهادنا وحده مهما كانت قوتنا وإرادتنا، كذلك لا يمكن أن يفرض الروح القدس علينا قوته.

ولكن أى جهاد نقصد؟ إنه جهاد الصلاة كما صارع يعقوب مع الرب وأخذ بركة منه، وكما جاهد القديسون فى صلواتهم فى عرق

ودموع وسجود وأصوام فهكذا ملكوت الله يغتصب وما حياة المجد والإتحاد مع الله إلا ثمرة هذا الجهاد فى الصلاة.

أيضاً هو جهاد الامتناع عن شهوات العالم والحرمان، لذلك حسب الكتاب المقدس للوط جهاده ضد الخطية براً فيقول "وأنقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء فى الدعارة إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" ٢ بط ٢: ٧،٨ . فبينما كان لوط ساكناً فى وسط الأردياء كان يحفظ سمعه ونظره ونفسه بعيداً عن الخطية بجهاد مرير لذلك حسب له هذا براً، كذلك كان يوسف العفيف فى صراعه مع إمرأة فوطيفار فكان هذا سبباً قوياً فى تدفق البركات الروحية عليه فيما بعد.

تدريب :

الإمتلاء من الروح القدس هو اختبار الجهاد فى الصلاة فعالج مشكلة روحية خاصة بالصلاة من أجلها بحرارة لكى يعطيك الرب لها حلاً واستخدم السجود أثناء ذلك (المطانيات).

إختبار الإيمان :

لقد احتوى الكتاب المقدس على حياة كثير من رجال الإيمان فى العهد القديم والجديد، ولقد كان الإيمان إختباراً لرجال الله، وعندما

تزكى إيمانهم صاروا أولاداً لله ... فما هو هـذا الإختبـار؟ هـل اختبرت أن الله وحده هو الذى يقيم من الأموات؟ ويخلق من الموت حياة؟ هذا هو إختبار آبائنا.

"بالإيمان قدم إبراهيم اسحق وهو مجـرب. قـدم الـذى قبـل المواعيد وحيده الذى قيل له أنه بإسحق يدعى لك نسل. إذ حسـب أن الله قادر على الإقامة من الأموات ..." عب ١١: ١٧. بينمـا الله أعطى مواعيد كثيرة فى إسحق وفى نسله فهو اليوم يطلـب مـن إبراهيم أن يقدمه ذبيحة فكيف ذلك؟

ولكن إبراهيم كان عالماً أن الله وحده قادر أن يقيم إسحق مـن الأموات ويقول عنه معلمنا بولس الرسول "الذى آمن به الذى يحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة" رو ٤: ١٧.

ونفس هذا الإختبار إجتازه بولس فى آسـيا "فإننـا لا نريـد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التى أصابتنا فـى آسـيا أننـا تثقلنـا جداً فوق الطاقة حتى يأسنا من الحياة أيضاً لكن كان لنا فـى أنفسنا حكم الموت لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بـل علـى الله الذى يقيم الأموات" ٢ كو ١: ٨،٩ . فتأمل ما معنى حكم الموت؟

كان بولس قد وصل إلى حالة من اليأس تمنعه من العمل وكـان الوحيد الذى يستطيع أن يعمل هو الله الذى خلق من الموت حيـاة،

فلو مرض بولس مرضاً بسيطاً فربما كان يرى الشفاء فى الطـب، ولو كانت له أية مشكلة عالمية فربما كان يرى الشفاء فى ذهنـه أو عند مشيريه، لكنه وصل إلى نهاية اليأس (الموت) فكانت الإقامـة عند الله وحده، فهل اختبرت أن الله وحده قـادر علـى حـل كـل مشكلاتك حتى ولو كانت لدرجة الموت؟ وهل اختبرت ما هو أعظم أن يغيّر الرب حالتك فيحولك من الضعف إلى القوة ومـن المـوت إلى الحياة؟!

إن إيماننا نحن لهو كمال إيمان إبراهيم إذ يقول معلمنـا بولـس الرسول لذلك حسب له براً ولكن لم يكتب من أجله وحده (لإبراهيم) أنه حسب له بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمـن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذى أُسلم من أجل خطايانا وأقيـم لأجل تبريرنا" رو٤.

من أجل هذا يا أخى ترى أن الإيمان المطلوب منك هو الإيمـان بقدرة الرب أن يموت من أجل خطايانا ويقوم بلا خطيـة، فنمـوت معه عن خطايانا ونقوم معه مبررين.

ولنا الآن سحابة من الشهود تضئ لنا طريق الإيمان، فبالإيمـان الذى بيسوع المسيح إغتصب كل من المرأة الخاطئـة، والغريبـة الجنس الكنعانية والأبرص الغريب الجنـس واللـص اليميـن ...

إغتصبوا ملكوت السموات وخلص الجميع بإيمانهم بقدرة الرب على خلاصهم حتى ولو ماتوا فى الخطية.

وإلى الآن أيها الحبيب هذا الإيمان يعمل فى الكثيرين فعن من أحدثك؟ أعن شاول الذى كان يضطهد الكنيسة قبلاً ويبشر الآن بالإيمان الذى كان قبلاً يتلفه؟ أم عن موسى الأسود الذى كان زعيماً للصوص فأصبح القديس المتضع؟ أم عن أغسطينوس الذى اختبر حياة الشر والرذيلة وأصبح القديس البار الطاهر؟

لقد امتلأ تاريخ الكنيسة من سير هؤلاء القديسين الذين ساروا فى الإيمان الكامل بخلاص يسوع، ونسير نحن الآن على إيمانهم، وأصبح الخلاص فى حياتنا أمراً سهلاً، لو أردنا ذلك.

فالله إذ مات لأجل خلاصنا، فهو واقف على الباب يقرع منتظر أن نتقدم إليه بإيمان معلنين إرادتنا فى الخلاص. لماذا لم يعمل الله فى حياة الكثيرين؟ لأنهم لم يتقدموا إليه بإيمان. فكل الذين تقدموا للمسيح فى إيمان كان ينصف طلبهم بعد الإلحاح والثقة والطلبة المتكررة وكلنا نتذكر كلمات السيد المسيح عن أورشليم: "... كم مرة أردت أن أجمع أولادك ... ولم تريدوا هوذا بيتكم يترك لكم خراباً".

نحن نملك مواعيد عظيمة، ونتمتع بخلاص هذا مقداره، فماذا تكون نهايتنا يا أخى إن أهملنا خلاصا هذا مقداره؟!

إذا فلنتقدم بثقة إلى الله، بإيمان كامل بخلاصه العجيب واضعين تحت قدميه كل ما نريد أن نخلص منه عندئذ سننال خلاصا عظيما ويشترط أن نضع أمامه كل ما نريد أن نخلص منه لئلا نحتجز لنفوسنا بعض الأمور فيمنع الرب خلاصه عنا، كما فعل حنانيا وسفيره.

ويعرض لنا بولس الرسول أمثلة للإيمان العملى فيعطينا طرقا إختبارية للإيمان وإن اختلفت الطريقة من واحد لآخر، فيحدثنا عن طاعة هابيل، وأخنوخ الذى أرضى الرب بالإيمان، وإبراهيم الذى لما دعى أطاع وتغرب بالإيمان لأنه نظر إلى المدينة التى لها الأساسات وقدم إسحق مؤمنا بأن الله سيقيمه من الأموات، وموسى الذى بالإيمان رفض مجد فرعون حاسبا عار المسيح غنى أعظم، وعن إيمان بنى اسرائيل وطاعتهم وعبورهم البحر، وسقوط أسوار أريحا، وعن راحاب الزانية التى نجت عندما آمنت، وعن هؤلاء الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براء نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود. وعن هؤلاء الذين عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكى ينالوا قيامة أفضل (عب ١١).

كل هؤلاء الذين وضعهم بولس أمامنا كأمثلة للإيمـــان وطـــرق لإختبار الإيمان لكى ما نتعلم منها، لم ينالوا الموعد لكى لا يكملـــوا بدوننا ... ولكى نتطلع إلى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع (عب ١١: ٤٠ ، ١٢: ٢).

+ + +

تدريب:

إقرأ الأصحاح ١١، ١٢ من رسالة بولس الرســول للعــبرانيين ودون النواحى العملية فى حياة كل أب من آبـــاء الإيمـــان واقتــن طريقهم العملى فى الإيمان بموت يسوع من أجل خلاصك، وقيامتــه لأجل تبريرك.

+ + +

البَاب الثـانى

الحرية في الطريق

+ مفهوم الحرية : "لا تصيروا الحرية فرصة للجسد

بل بالمحبة إخدموا بعضكم بعضاً" غل ٥: ١٣.

+ الصليب طريق الحرية: "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بـــل

المسيح يحيا فىّ" غل ٢٠: ٣.

الحرية فى الطريق

كثيرين دعى عليهم إسم المسيح، يواظبون على حضور الكنيسة وعلى الصلاة، وعلى التناول، ومع ذلك فهم ليسوا إلا عبيدا لهذا العالم، إذا هم أعداء الله، إذ يقول معلمنا بولس الرسول "لأن اهتمام الجسد هو موت... ولأن اهتمام الجسد هو عداوة لله" رو ٨: ٦، ٧.

فالتحرر من قيود هذا العالم وشهواته وارتباكاته وهمومه أمر ضرورى لسمو النفس واتصالها بالله.

ويمثل كتاب حياة الصلاة - النفس الإنسانية (التي مصدرها هو الله) بطائر يريد أن يطير ويحلق فى مكانه الطبيعى فى السماء، لكنه مربوط بحبال وأربطة كثيرة بالأرض فكلما يحاول الانطلاق يسقط ثانية حتى تتكسر أجنحته ويتعب، وكان ينبغى قبل بدء الإنطلاق التأكد من التحرر الكامل من هذه الرباطات.

إهتمام الجسد عداوة لله

هل يقصد من ذلك عدم الإهتمام بضرورات الجسد من أكل ولبس وصحة؟

كلا بل الجسد ضرورى كإناء لراحة النفس، فالنفس الإنسانية لا تستطيع أن تعبد الله بدون الجسد فى هذه الحياة، ولكن هناك فرقا

بين الإهتمام والإستعمال. مثال ذلك شاب يقضى ساعات ليرتب شعره وينظم لبسه ويصنع أمورا حسنة بجسده. فهذا إنسان مهتم بأمور الجسد، وعلى العكس هناك شاب آخر يستعمل اللباس كضرورة لحياة جسده، لا ينشغل بملبسه أو بمظهره ومع ذلك فمظهره وقور ولباسه حسن ولائق.

وما نقوله عن اللباس نقوله عن الطعام، فكم من أناس هم عبيد للطعام وشهوته، وآخرون يأكلون بالشكر كل ما يقدم لهم، فالعالم بكل ما فيه وسيلة نستعملها وليس غاية نستعبد لها فى تفكيرنا واهتمامنا.

وكم من أناس إنشغلوا بالمال إلى الحد الذى جعل كل تفكيرهم يبتعد عن الله ومع ذلك فهم لم يزيدوا عليه شيئا وفى هذا يقول بولس الرسول "الذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يشترون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول"

١ كو ٧: ٣٠، ٣١.

أرأيت معى يا أخى أن كثيرين يدعون أنهم يعبدون الله ومع ذلك فهم عبيد للعالم والجسد ولم يتحرروا بعد؟!

الحرية فى المسيحية

ما أكثر الحديث عن الحرية، فكل زعيم، وكل رسول، والمسيح ذاته تحدث عن الحرية، وستندهش عندما ترى أن المسيحية وحدها هى التى أعطت الحرية مفهومها الحقيقى.

+ فهناك من يقول بالتحرر من عبودية المستعمر.

+ وهناك الشاب الذى يتحدث عن التحرر من قيود المجتمع والأسرة والمدرسة، ويرى أن الحرية هى فى أن يصنع ما يريد وما يشتهى، ليشبع شهوته الفكرية والجسدية، ويظن هذا الشاب أن فى هذه الحرية سعادته، لكن الذين اختبروا قالوا أنها كانت مصدر تعاستهم.

+ وأراد أصحاب ما يسمى بعلم الأخلاق أن يضعوا للمعنى السابق معنى براقا، فقالوا أن الحرية هى أن تصنع ما تريد دون أن تعتدى على حرية غيرك وهم بذلك يريدون المحافظة على المجتمع وليس على سعادة الإنسان الذى سيحرم من أمور كثيرة. فنجد أن الفرد قد حرم من سعادته وحريته فى سبيل المعانى البراقة الزائفة.

+ وأعطى المنحرفون عن المبادئ المسيحية للحرية معنى متطرفا خطيرا فنادوا بالتحرر من كل ما تنادى به الكنيسة من أصوام وصلوات وطقوس وتقديس ليوم معين، هم يريدون المسيح

فحسب فما الداعي لكل هذا، ففهموا الحرية على أنها عدم التقييد بسبت أو هلال أو عيد أو أية عبادة مهما كانت، واختاروا الطريق السهل للوصول إلى الملكوت فإذ به طريق واسع لم يؤد بهم إلى ما كانوا يريدون.

ولقد سأل الشيطان السيد المسيح يوما أن يدخل من هذا الطريق عندما صام فقال له "إن كنت إبن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا" فرفض السيد المسيح عرض الشيطان متمسكا بالطريق الصعب وهذا ما يعرضه الشيطان على الكثيرين من المنحرفين قائلا تعالوا أريكم طريقا أسهل!!!

+ أما الحرية الحقيقية في المسيحية فهى التحرر من عبودية الخطية وشهوات الجسد، هى إنطلاق النفس التى تتحرر من الشر وتصنع الخير أيضا بلا قيود، هى حرية النفس التى تحب الله بلا مانع والناس بلا قيد من قيود الجسد والقرابة "إن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحرارا، هذه هى الحرية الحقيقية ، هى التحرر من نير الخطية وقسوتها والإستعباد لها، ويقول معلمنا بطرس الرسول عن الذين لم يفهموا معنى الحرية "واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد لأن ما انغلب منه أحد فهو مستعبد له أيضا"

٢بط ٢: ١٩. فهذه هى العبودية - فكم من أناس تحدثوا عن الحرية ووعدوا الآخرين بها وهم أنفسهم عبيد الفساد.

+ وحرية النفس تعنى إنطلاق النفس وعدم خضوعها للجسد فيقول بولس الرسول "كل الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء توافق كل الأشياء تحل لى ولكن لا يتسلط على شئ". فلسنا نصوم لكى نصير عبيدا للصوم بل على العكس فإننا نصوم لكيما نتحرر من سلطان الجسد والشهوة ولكي لا يتسلط علينا شئ. ونحن لا نحضر صلوات القداس لكى نصير عبيدا لعادة حتى ولو كانت خيرة -بل لنتحرر وننطلق بنفوسنا ونتقابل مع المسيح على المذبح- ولكيما يحل المسيح بالإيمان فى قلوبنا ويحل بالجسد والدم فى أجسادنا ويتحد بنا.

إذا فلابد من الصوم لكى نتحرر حتى من كل نظام للأكل والشرب ولابد من حضور الكنيسة لكى تنطلق نفوسنا فتتحد مع الله. فالكنيسة تضع لنا أنظمة وترتيبات، لا لكى نستعبد لها، ولكن لكى تصبح وسيلة، لكيما تنطلق نفوسنا للإتحاد بالله.

فالذى اختبر الصوم وتعلم وعلم نفسه متى يأكل ومتى لا يأكل ومتى يمتنع عن بعض الأطعمة بإرادته، هو الذى يعرف كيف يمتنع عن الشر بإرادته وكيف يعمل الخير بإرادته، هو الذى يقدر

أن يحب الغير حتى لو كان هذا الغير عدوه - هو الذى يعلم كيف "يقمع جسده ويستعبده لكى لا يصير مرفوضا" ١ كو ٩: ٢٧. وهو الذى يقوت جسده ويربيه كوزنة وعطية من الله لكى يخدم به الله.

من هذا ترى كيف فهم بعض المتطرفين الحرية فهما خاطئا، فنادوا: لا صوم ولا حضور قداس بل المسيح فقط - حقا أنهم قد خسروا المسيح أيضا!!

والكنيسة تضع ترتيباتها لكى تربح الجميع - فالكنيسة لم تضع نظام صيامها وصلواتها وعبادتها للسواح ولباس الصليب وما هم فى مستوى الرسل والقديسين، بل وضعته للجميع لكى تضع سورا يحرس الجميع، وطريقا يسير فيه الجميع، ويأخذ كل واحد حسبما يطيق، ويعيش بحريته، ليس حرية الجسد بل حرية النفس.

+ ويتعمق بولس الرسول فى معنى الحرية وينتقل بنا إلى المعنى الإيجابى وهو فى حقيقة الأمر ثمرة شهية للتحرر من الخطية وانطلاق النفس واتحادها بالله، فيقول "كل الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء تبنى، لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر" اكو ١٠: ٢٣-٢٤. "كما أنا أيضا أرضى الجميع فى كل شئ غير طالب ما يوافق نفسى بل الكثيرين لكى

يخلصوا" ١كو ١٠: ٣٣. "لذلك إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحما إلى الأبد لئلا أعثر أخى ..." ١كو ٨: ١٣.

وهكذا أصبح التحرر من الأكل والشرب ليس لإنطلاق نفسى فحسب بل أيضا لعدم عثرة أخى ولخلاص أخى الذى مات المسيح لأجله.

وفى هذا يقول يعقوب الرسول " فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له" يع ٤: ١٧. وهكذا ينطلق بنا يعقوب الرسول إلى أعلى مراحل إنطلاق النفس لا لكى تعيش لنفسها بل للآخرين.

"ليكن فينا هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس - فلا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو للآخرين أيضا" فيلبى ٢: ٤.

فالمسيحية ليس فيها إنطواء على النفس بل هى حرية إيجابية خيرة عاملة لأجل الجميع، حتى هؤلاء الذين حجزوا نفوسهم مبدئيا للإتحاد بالله لم يستطيعوا أن يحجزوها عن فعل الخير عندما دعى الداعى. فهذا أنطونيوس المتوحد الذى هرب من الناس تقدم بسرعة للأسكندرية لكى يساعد أثناسيوس فى الدفاع عن الأرثوذكسية.

وهكذا كان يجول السيد المسيح طوال يومه يصنع خيرا للجميع بلا مقابل حتى الذين صلبوه، طلب لهم مغفرة الخطايا، وهكذا أيضا صنع اسطفانوس كما صنع إلهه فطلب من الله أن لا يقم الخطية لراجميه - وهكذا تفانى خدام الكنيسة الأولى سائرين فى طريق المسيح حتى الموت لكى يخلصوا الآخرين. وهكذا لم يعش إنسان لأجل نفسه بل لأجل الآخرين.

+ + +

تدريب :

إجلس إلى نفسك وصارحها فى الكشف عن الرباطات التى تعوق تحررك وقدمها للمسيح فى صلواتك ليعطيك تحررا منها.

الصليب طريق للحرية

"من أراد أن يكون لى تلميذا فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى" الصليب بآلامه وبضيقاته ضرورة ملحة للوصول إلى المسيح، والصليب حمل ثقيل للذين لم يحررهم المسيح بعد وعلى العكس فالصليب ليس حملا هينا فحسب بل شهوة للذين حررهم المسيح، لذلك بحث عنه القديسون بحريتهم وإرادتهم.

عندما صدر الأمر من الوالى - الحاكم بأمر الله - أن يحمل كل إنسان مسيحى صليبا وزنه خمسة أرطال، حمله البعض مجبرين

متضايقين فوجدوه ثقيلا ... وهناك في ليلة من الليالي مـر الحـاكم متخفيا على منزل فسمع صوتا، فنظر من ثقب الباب فوجد مسـيحيا يعمل في نول ويحمل صليبه وكلما تحرك النول تحـرك الصليـب على عنقه ...

وهكذا بينما حمل الكثيرين الصليب مضطرين في الشارع حملـه هذا المسيحي في منزله بحريته وبإرادته، بشغف وبحب وانطلقـت إرادته لتتعدى حدود الشارع - وحدود رقابة الوالي، إلـى الوجـود الدائم أمام الله.

فعندما يمتنع الشاب المسيحي بإرادته عن شهوات العالم مسـمرا إياها على الصليب، يرى في ذلك لذة وسرورا وفرحا وسلاما، بينما يراه الذين من خارج إنسانا محروما من ملذات العالم وربما تشـدقوا عليه حتى زملاؤه في الكنيسة بأنه يعيش في كبت وضيق وحرمـان ولم يعلموا أنه في عمق السعادة لأنه يحمل الصليب بحريته فينـال بركات الصليب وسعادته . وقف ذلك الراهب يوما يعاتب الله، لماذا نسيتني هذا العام ولم ترسل لي آلامًا...؟

إن أعجب ما في المسيحية هو الصليب، إن الديانات الأخـرى عندما بشرت الناس بدعوتها وعدتهم بالحياة المادية السعيدة في هـذا العالم، ولكن ما أعجبك يارب لأنك إله تعرف كل مـا فـي العـالم

فتقول "سيكون لكم فى العالم ضيق"، "أدخلوا من الباب الضيق"، "إن محبة العالم عدواة لله" – ومع ذلك انتشرت رسالة المسيح بلا رمح ولا سيف ... عجبا ... عجبا ... لقد كشف الله حقيقة العالم وفضحه وأراد أن نحذد موقفنا منه، فتركنا العالم بحريتنا من أجل محبتنا فى المسيح ... وعندما سرنا معه فى الطريق تدفقت علينا البركات حتى المادية منها، فنجح الإنسان المسيحى فى عمله، وربح التاجر المسيحى كثيرا ... وأخذنا مائة ضعف في هذا العالم. عجبا ما هذا ؟ ... إن العطايا المادية تعطى للأبرار والأشرار والله لا يتأخر أن يعطيها لنا كثمر لحياتنا معه، ولكن بالعكس، لو سرنا مع الله لكى نجعله وسيلة لأخذ البركات المادية، فسيتخلى الله عنا فتنفضح حياتنا أمام الآخرين "أطلبوا ملكوت الله وبره ... وهذه كلها تزاد لكم". إن الطريق فى المسيحية هو طريق الصليب، ولكنه ليس ثقيلا ومؤلما حتى ولو بدا كذلك أمام الآخرين.

تأمل أيها الحبيب فى صليب المسيح ... بينما هو فى شدة الآلام الجسدية يقول بولس الرسول عنه: "من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الآلام آلام الصليب".

وهناك فى أعماق سجن فيلبى دخل مسجونان غريبان، ضربا ضربا مبرحا ووضعت أرجلهما فى المقطرة وطرحا فى السجن

الداخلى، وتقاطر الدم من أرجلهما ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان إنهما كانا يرنمان ويسبحان الرب فى منتصف الليل، وقام جميع المسجونين ليشهدوا مشهدا رائعا من ثمار الصليب، فالآلام فى الجسد، والسلام والفرح الكامل فى النفس. صليب الجسد أصبح مصدر فرح وسعادة للنفس. وكانت نفس بولس وسيلا متهللة، فآمن السجان ولابد أن يكون المسجونون قد آمنوا أيضا وإن لم يتعرض لوقا البشير لهذه الناحية فى سفر أعمال الرسل.

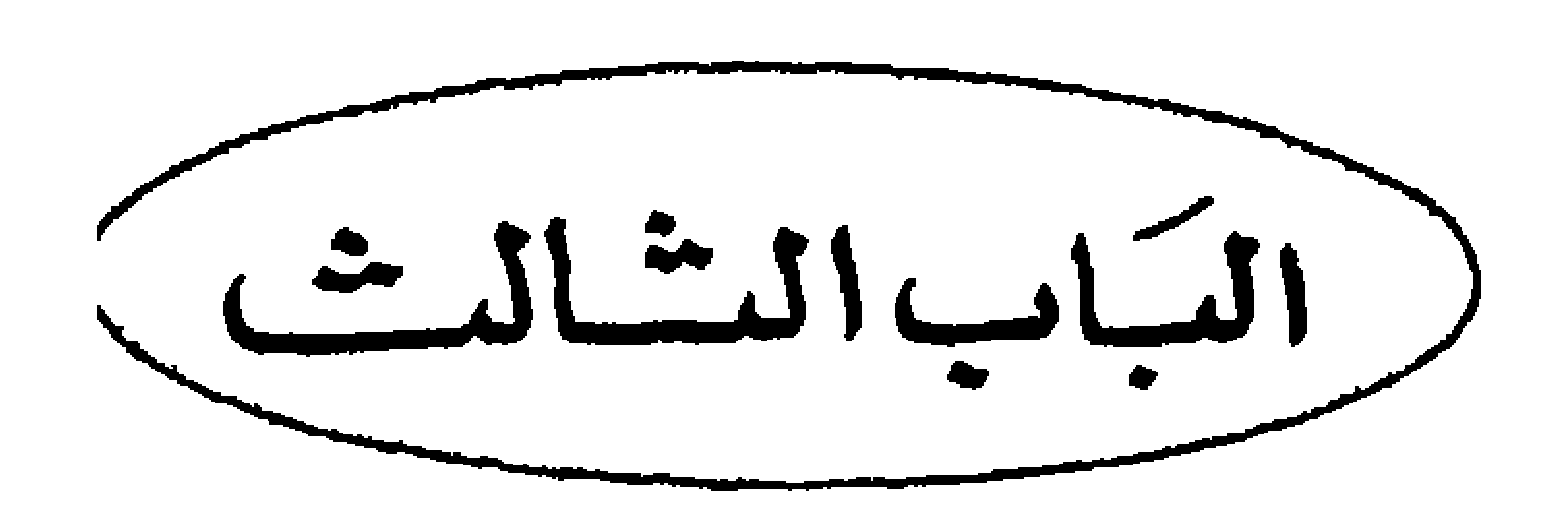
ومرة أخرى "أحضر رؤساء الكهنة والكتبة الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع وأطلقوهم. أما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه وكانوا لا يزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح ...".

أى قوة فى حمل الصليب الذى يستطيع أن يحول الضيق إلى فرح والألم الجسدى إلى سعادة روحية، فمرحبا بالصليب؟! وإن كان الصليب ضرورة للسير فى الطريق فسنحمله لا لأنه ضرورة بل لأنه مصدر سعادتنا وفرحنا، سنحمله بإرادتنا وبحريتنا ونحن مسرورين كما حمله المسيح من أجل السرور الموضوع أمامه.

ولقد تبارى القديسون فى حمل صليب الآلام فتحملوا الإضطهاد وقال عنهم الكتاب "عذبوا ولم يقبلوا النجاة ... تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود أيضا وحبس، رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلا بالسيف طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين، وهم لم يكن العالم مستحقا لهم، تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض" عب ١١: ٣٥-٣٨.

ولكن ما هو أروع من ذلك وأعظم بكثير ... عندما يبحث القديسون عن الصليب فى الخارج ليحملوه ولا يجدوه، عندئذ يدخلون إلى نفوسهم ويغلقون الباب ويحملون صلبانا داخلية كما يقول كتاب مرشد الطريق إلى الملكوت "عندما لا يجد الإنسان ضيقات خارجية يجلس إلى نفسه ويبحث عن أخطائه فيتذلل أمام الله فى صلوات وأصوام ويحمل نفسه صليبا من الداخل ليحس بلذة الصليب ويبحث عن فضيلة يطلبها من الله بدموع كثيرة وصلوات وسجود وتقشف واجدا لذة فى تحمله صليبا داخليا".

تدريب : إذا لم تكن قد حملت الصليب بعد ... فاجلس إلى نفسك واحضر أهواءك وأخطاءك مسمرا إياها فى الصليب ليس فى ضيق وحصر ولكن فى لذة وسرور مستعينا بالرب يسوع فى صلوات الذى يحول النير الثقيل إلى حمل هين.



الحب المقدس فى الطريق

+ مقياس الحب فى العبادة: "غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا والذى يغفر له قليل يحب قليلا" لو ٧: ٤٧.

الطريق إلى محبة الله:

+ بالشكر: "أشكروا الرب فإنه صالح وإن إلى الأبد رحمته" مز ١٣٦.

+ بالتأمل فى الصليب: "الله بين محبته لنا لأنه ولحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" رو ٨:٥.

الحب المقدس ... فى الطريق

"وسأله واحدٌ من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ، وإذا بإمرأة فى المدينة كانت خاطئة ... جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك، تكلم فى نفسه قائلاً ... إنها خاطئة ... ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان ... إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط وأما هى فقد غسلت رجلى بالدموع، ومسحتهما بشعر رأسها. قبلة لم تقبلنى وأما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى. بزيت لم تدهن رأسى وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلى من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً والذى يغفر له قليل يحب قليلاً" لو ٧: ٣٦-٤٨.

+++

إن الطريق إلى المسيح سهل، يصل إليه الإنسان البسيط، طريق سلكته المرأة الخاطئة ... هو طريق الحب المقدس "لأنها أحبت كثيراً غفرت لها خطاياها الكثيرة". إعترض الفريسى الذى دعى السيد المسيح وشك فى لاهوت المسيح وقال فى نفسه "لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التى تلمسه وما هى، إنها خاطئة"، وفى

حادثة مشابهة إعترض يهوذا عندما صنعت مريم أخت لعازر مثل هذا العمل قائلاً "لماذا لم يبع هذا الطيب بثلثمائة دينار ويعطى للفقراء" يو ١٢: ٥ ... وهل الله يهمه الكم يا يهوذا أم النوع؟ لقد امتدح الرب وطوّب التى أعطت فلسين لا يسدان رمق محتاج، وأمر أن تذكر قصة تلك المرأة أينما كرز بهذا الإنجيل. تأمل معى عندما نقارن المرأة الخاطئة وصاحبة الفلسين بالتلاميذ فى أيام المسيح الأخيرة – أيهما عرف المسيح وعرف الطريق؟ ...

الجواب : تلك التى أحبت كثيراً عرفت يسوع مخلصاً لها بينما لم يقبل التلاميذ فى ذلك الوقت كمخلص.

وأراد السيد المسيح أن يعطينا درساً عملياً فى "الكم والنوع" فى قصة المرأة التى أعطت فلسين فى الخزانة. إن كثرة أصوامنا وصلواتنا وقراءاتنا فى الكتب المقدسة وعطاءاتنا سوف لا تكون موضع فخرنا فى اليوم الأخير وإلا لسبقنا فى ذلك الكتبة والفريسيين ولكننا سنندهش عندما نجد أن الذين سيسبقون إلى المجد هم من أمثال المرأة الخاطئة.

كذلك الفقراء الذين أعطوا من أعوازهم والذين ظننا يوماً ما أننا سنسبقهم للمجد لأننا أعطيناهم كثيراً، كذلك سيسبقنا الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة ولم يقرأوا الكتاب المقدس مثلنا بل علموا

وآمنوا فقط أن الرب يسوع مات لأجل خلاصهم وقام لأجل تبريرهم.

هل جاهد كلٌ هؤلاء للوصول إلى المسيح قدر ما جاهدنا؟ وتعبوا ودرسوا ... مثل ما صنعنا؟ كلا ولكن قلبهم البسيط قد امتلأ بالحب الكبير للمسيح.

إذاً فلنتذكر دائماً أن كل ما نعمله حتى ولو كان خيراً فى ذاته لكنه خال من الحب والشوق للمسيح هو نفاية ومهما استفاد الآخرون منه فنحن لا ننتفع شيئاً، "وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه".

والآن لنقيس عباداتنا المختلفة على مقياس الحب المقدس ...

[أولاً] الصلاة

الصلاة فى الواقع هى تعبير عن إحساساتنا ومشاعرنا وإحتياجاتنا نحو الله فهى أمرٌ لا يخص الله وحده، ولكن على العكس فهو يخصنا نحن من ناحية علاقتنا بالله، فالذى يصلى لأنه يؤدى واجبا عليه نحو الله فليعلم ان الله ليس بمحتاج إلى هذا الواجب، ولكن الصلاة أمر خاص به هو.

إذاً ما هى دوافع الصلاة؟ ... إنها تعبير عن شوق كامن فى أعماق النفس للتحدث إلى الله. هى مناجاة بين العريس وعروسه،

ويلذ للعريس أن يسمع صوت العروس بل إنه يرجو أن يسمع صوتها "هأنذا واقف أقرع على الباب ..."، وأمر فتح الباب في يدنا نحن. أو قل إن الصلاة هي كحديث الإبن إلى أبيه في شوق وحب عميق وبهذا الإحساس يجب أن نتقدم إلى الله ونصلي، وإن كنا صلينا كثيراً ولم نأخذ فلماذا؟ كم مرة حضرت القداس الإلهي ولم آخذ شيئاً؟ ولماذا؟ ... إسأل نفسك بأي شعور حضرت القداس هل بشعور الشوق والحب للمسيح، وكان هذا الشعور عملياً فدفعك للإستيقاظ مبكراً إذ أنت تنتظر تلك الساعة بفارغ الصبر، وبعد ذلك صليت إلى الله كي يعطيك ويشبع حاجاتك، وعندما وصلت إلى البيت المقدس هل شكرت الله معبراً عن حبك له عن طريق صلاة جميلة، أو سجود هادئ أو إيقاد شمعة أمام أيقونة قديس ... كتعبير عن مدى حبك له، وهكذا وقفت طوال القداس تتحدث مع الله بلا رقيب ملتهبة مشاعرك عندما تتأمل في كم صنع الرب من أجلك ... متطلعاً إلى فوق فترى يسوع مصلوباً على باب الهيكل فتتذكر الحب الكثير من أجلك وتتأمل بين الحين والآخر فتجد نفسك تعيش مع الرب والملائكة والقديسين، بل أكثر من ذلك تلك الدعوة الموجهة إليك لكي ما تشترك في تلك الوليمة المقدسة لكي ما تكون واحداً في المسيح يسوع؟

أم على العكس تقوم من نومك متكاسلاً وتذهب متأخراً وتقف متململاً، وبعد ذلك لا تأخذ شيئاً.

وما الذى يدفعك لصلاتك الفردية؟ هل هو حب وشوق ليسوع وحديث بلا رقيب، مقدما لله شكراً معبراً عن ذلك بتنهد ... أو بدمعة ... أو بسجود ... أو بكلمات بسيطة ... أو تسأله عن أسرار ملكوته ... أو عن طلباتك وما تريد من فضائل ومقومات لحياتك الروحية، وتطلب بإصرار تواضعاً وانسحاقاً وحباً. وإن كان الأمر كذلك ألا يدفعك ذلك لكى تشكر المسيح إلهك فى كل أوقات النهار متذكراً محبته لك بين الحين والآخر، وتتحول حياتك حينئذ إلى صلاة مستمرة فى كل لحظة "أما أنا فصلاة" مردداً كلمات بسيطة فى كل أعمالك [أشكرك ياربى يسوع المسيح - إرحمنى ياربى يسوع المسيح - ساعدنى ياربى يسوع المسيح - أمجدك ياربى يسوع المسيح]. راجع كتاب مذكرات سائح روسى (صلاة يسوع).

بهذا تستطيع أن تدخل أيها الحبيب كما دخلت المرأة الخاطئة وتقترب إلى يسوع وتريه قلبك ودموعك وحبك وأشواقك نحوه فيتطلع إليك بنظرة جذابة وديعة كلها حب وإخلاص ويعطيك كل ما تريد وأكثر مما تريد حتى ولو كانت خطاياك أكثر من خطايا المرأة الخاطئة.

لقد كان القديسون ينسون أنفسهم فى الصلاة إذ يغلبهم الحب المقدس للمسيح ... فلقد كان القديس أرسانيوس يصلى عند الغروب ويستمر هكذا حتى يفاجأ بأن الشمس تطلع فى الصباح وتشرق من أمامه فيحس أن الصباح قد أتى.

وتقول قسمة الصوم المقدس عن هؤلاء القديسين إنهم سكنوا الجبال والبرارى وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح.

[ثانياً] قراءة الكتاب المقدس

إن كانت الصلاة هى تعبير عن شوق كامن فى أعماق النفس إلى التحدث، فدراسة الكتاب المقدس هى إشتياق للإستماع إلى الله.

دخل السيد المسيح بيت لعازر وكان يتحدث كما هى عادته عن أمور ملكوته وخلاصه الثمين، فاشتاقت مريم إلى ذلك الحديث فنسيت نفسها وأخذت تسمعه فى لذة وشوق وحب كامل، ونقدتها أختها، إذ كيف أن تلك الفتاة تترك عمل المنزل من إعداد للوليمة لكى تجلس وتستمع إلى يسوع ... إن حبها وأشواقها إلى يسوع دفعها لكى ما تنسى كل هذا وتجلس تحت قدميه وتستمع، وهكذا نالت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها. وبنفس الطريقة وصلت المرأة الخاطئة إلى السيد المسيح، فهى إمرأة خاطئة معروفة فى

المدينة كلها، كان أفضل لها مادامت هذه الجموع مجتمعة والجميع يعرفونها أن تتوراى بعيداً عنهم لعلها تخلص من نقدهم وكلماتهم وتصوراتهم اللاذعة. ولكنها نسيت كل ذلك وتقدمت بحسب كثير لتستمع إلى كلمات يسوع الحية الحلوة المعزية ... مغفورة لك خطاياك.

إن قصة المرأة الخاطئة ومريم أخت لعازر لم يذكرا فى الكتب لذاتهما ولكنهما ذكرا لأجلنا لكى نعيش معهما فى مشاعرهما ونصل إلى يسوع ونأخذ كما أخذوا وتلتهب قلوبنا شوقاً أكثر فأكثر إلى سماع كلماته المحيية.

إن الإنسان يشتاق دائماً وبدون ملل أن يستمع إلى أحاديث أحبائه ... فكم بالحرى ينبغى أن يزداد إشتياقنا إلى حديث حبيبنا الذى ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل منا.

والآن لنراجع ذواتنا كيف نستمع إلى يسوع ونقرأ فى كتابه المقدس ... هل لكى يزداد علمنا ومعرفتنا عن المسيح، أو لكى ما نتفاخر بما فعلنا، أو لكى نحضر دروساً متقنة لمدارس الأحد أو لمجرد عادة وواجب إذ علينا أن نقرأ كل ليلة إصحاحاً، ولا يمكن أن يمضى يوم من حياتنا دون أن نقرأ فيه إصحاحاً أو ما يزيد؟ أو لأننا وضعنا برنامجاً لدراسة الكتاب فى عام ...؟ كل ذلك حسن،

ولكن ماذا استفدت فى حياتك وعلاقاتك مع يسوع عندما حفظت، أو عرفت، أو حضرت درسك، أو أديت واجبك؟ كان ينبغى أن تقرأ باشتياق وبلا ملل في حب عميق إلى كلمات الحبيب، ولعلنا نجد فى المزمور ١١٩ نموذجاً قوياً عن داود النبى ومدى إشتياقه لسماع كلمات الله فيقول "إنسحقت نفسى شوقاً إلى أحكامك فى كل حين" ٣٠، أيضاً "شهاداتك هى لذتى أهل مشورتى" ٢٤، " وأتلذذ بوصاياك التي أحببت" ٤٧، "شريعة فمك خير لى من ألوف ذهب وفضة" ٧٢، "أبتهج بكلامك كمن وجد له غنيمة وافرة" ١٦٢.

وهكذا هل يدفعك الشوق والحب المقدس للمسيح إلى القراءة؟ إن كان كذلك فطوباك، وإن لم يكن فمازلت بعيداً عن الطريق، عليك أن تقيس قراءاتك بهذا الترمومتر، لعلك تستطيع أن تدرك ... هل أنت حار أم فاتر؟!!!

+++

[ثالثاً] الصدقة (العطاء)

" مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" أع ٢٠: ٣٥.

فلسفة عجيبة تبدو فى ظاهرها أنها غير صحيحة، وإن كنا نـرى فى الكثير من أهل هذا العالم من يستعمل هذا المبـــدأ ... فالتـــاجر الحكيم يعطى أولاً، ثم بعد ذلك يأخذ كثيراً. هل يقـــل مـــال الـــذى يعطى أم يزيد؟؟ كلا بل يزيد، إذ ينال مائة ضعـــف فـــى الزمـــان الحاضر والحياة الأبدية فى العالم الآتى.

إذاً، ما هو ميزان العطاء المقبول؟ ... إننا نعطى كثيراً ولا نأخذ مائة ضعف فى هذا العالم، ذلك أننا نعطى لكى نأخذ مائة ضعـــف ينبغى أن نعطى لأننا نحب المسيح، ولأجله فقط. عندئـــذ لا يتـــأخر الرب يسوع أن يعطينا كل شئ، ولكنه لا يسمح أن يكون السير معه أو العطاء كوسيلة للكسب المادى، عندئذ سيتخلى عنا ... إذاً لنعطى لأجل حبنا للمسيح. وفى مرات كثيرة يحاول عدو الخير أن يجعلنـــا ننحرف عن هذا المبدأ، لكى لا نأخذ فنخسر فى هذا العالم والعـــالم الآخر. فعندما نفكر فى أن نعطى يحاول الشيطان أن يمنعنـــا، وإن أعطينا يحاول أن يضيع أجرنا بأن يجعل عطاؤنا أمام النـــاس. وإن أعطينا سراً يسقطنا فى الكبرياء أمام نفوسنا. وإن فشل فى كل ذلـــك

يدفعنا كى ما نعطى لمجرد إتمام وصية أو لتأدية واجب أو كنوع من الخدمة الإجتماعية.

كل هذا حسن ولكن يجدر بنا أن نعطى لأجل حب فى المسيح، لأن الفقراء هم أخوة المسيح " ما فعلتموه بأحد إخوتى الأصاغر فبى أنا قد فعلتم" مت ٢٥. وبهذا سنقدّر الفقير لأنه أخو المسيح، وسنحبه أيضاً، وسيصبح قلبنا محباً متسعاً، وكلما ازداد حبنا كلما صار قلبنا أشد إلتصاقاً بالله.

ولعلنا فى القصة التالية نجد تأكيداً لهذا المبدأ ... "قام ذلك الإسكافى من نومه بعد ليلة قارصة البرد، وبعد أن حلم أثناء نومه أن السيد المسيح سيقابله فى هذا اليوم، فأسرع وأعد أكلا شهياً وأحضر شراباً ساخناً، لعل المسيح عند زيارته يكون محتاجاً إلى الدفء، وأعد كل شئ ولكن طال الإنتظار ولم يأتِ المسيح. فتطلع من النافذة فوجد رجلاً مغطياً وجهه ومعه عكازه - آتياً من بعيد، فظن أنه لا بد أن يكون المسيح، فقام لاستقباله وعندما لاقاه وتحقق أنه ليس إلا رجلاً عجوزاً، قد أعياه البرد، ويكاد يقضى عليه، فأدخله سريعاً، وقدم له الشراب الدافئ، وبعد قليل قدم له من الطعام المعد حتى شبع، ولكنه كان يرتعش من شدة البرد، فخلع معطفه وألبسه إياه ... ثم قام ورحل ... وظل الإسكافى منتظراً مجئ

المسيح، حتى أمسى اليوم وأصبح مؤكداً عدم سير أحد في الطريق... فدخل إلى مخدعه ليقرأ في الكتاب المقدس ... فقرأ " ثم يقول الملك للذين عن يمينه، تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني ..." فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك، ومتى رأيناك غريبا فأويناك، أو عرياناً فكسوناك، فيجيب الملك ويقول: "الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي فعلتم" مت ٢٥. وعندما أتم قراءته - أغلق الكتاب- ووقف يصلي شاكراً الرب، الذي شرفه بزيارته الكريمة في صورة ذلك العجوز، وشكره بالأكثر من أجل أنه قام بالواجب نحو أخ المسيح الصغير.

من المنتفع بالعطاء؟

لنعود إلى التي سكبت قارورة طيب غالية الثمن على يسوع، إعترض يهوذا وفكر في الفقراء، وتمنى لو دفعت تلك المرأة هذا المبلغ للفقراء ...

مبدأ خاطئ وخطير يدل على عدم فهم الحقائق المسيحية، **فليس المنتفع بالعطاء هم الفقراء ... بل الذين يعطون.** فالفقراء يستطيع

الله أن يعطيهم بل ويشبعهم. ولكن ما يطلبه الرب هو قلبك الممتلئ رحمةً وحباً، لذا أحب الرب تلك المرأة التي أعطت فلسين لا يمكن أن يسدا رمق إنسان، بل طوّبها إذ رأى قلبها مملوءاً حباً للرب ولإخوة الرب لذا ينبغي أن نزن صدقاتنا وعطاءنا ليس بمقياس الكم بل بمقياس الحب الذي يملأ القلب، ولهذا السبب تذكر الكنيسة في أوشية القرابين، الذين يعطون، والذين أرادوا أن يعطوا وليس لهم..."، إذ أن الرب يرى قلوبهم مملوءة حباً، ويكفيه أن القلب أصبح كقلب الله.

حدثت يوماً مجاعة شديدة بسبب قلة الأمطار في الصحراء، وكان أحد الآباء القديسين الرهبان، يحصل على ثلاثة أرغفة، كان عليه أن يأكلها ليعيش ولا يعلم ما يحدث بعدها، ولكن حدث أن مر رجل أعرابي يطلب خبزاً من شدة الجوع، فتطلع إليه بقلبه الكبير المملوء حباً، وأعطاه واحدة، وبعد قليل مر رجل آخر فأعطاه الثانية، وأخيراً مر ثالث، فلم يستطع أن يحجز هذا القديس الخبزة الثالثة، إذ من أجل محبته، فضل أن يجوع ويشبع الإعرابي، متمثلاً بالسيد المسيح الذي قال عنه القديس بولس "إنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره" ٢كو ٨: ٩. فتطلع الله ورأى على

الأرض قلبا رحيما محبا كقلبه، فلم يستطع أن يحجز المطر عن البرية، من أجل محبة ذلك القديس وقلبه المتسع.

+ + +

[رابعا] الخدمة

عندما نتحدث عن العطاء لا نقصد المال فحسب، بل هناك عطاء من الوقت والجهد والكرامة والطاعة ...

إن الخدمة فى عصرنا الحاضر تختلف بلا شك عن خدمة الكنيسة الأولى، والخدام كثيرون، ولكل فكرته الخاصة عن الخدمة... فهذا يعطى من وقته لأجل حب الظهور، ولكى ما يأخذ مجدا من الناس، وإن لم يأخذ هذا المجد فلا بد أن يترك الخدمة، وهذا يعطى لأجل تقضية وقت الفراغ، ولذلك فهو يعتذر عن الخدمة عندما يكون مشغولا بأمور هذا العالم، وآخر يتعب ويكد بدون هدف.

ولكن هناك خدمة واحدة مقبولة، هى خدمة ذلك الإنسان الذى أحب المسيح من أجل أنه تمتع بالخلاص العظيم، وامتلأ قلبه بالمحبة ليسوع المسيح ... ثم فاض هذا القلب بالمحبة، فاندفعت إلى الآخرين تسعى بجد، وتتعب لأجل خلاص الآخرين، وعلى هذا - إن

لم يكن يسوع المسيح نفسه هو حجر الزاوية، وحبنا له هـو الـذى يدلعنا لكى نربح الآخرين، فستفتر خدمتنا وتموت.

ولنتساءل الآن لماذا فترت خدمتنا فى هذه الأيام؟

لأنه لأجل كثرة الإثم فترت محبة الكثيرين ... من نحو إلـهنا، ومن نحو الآخرين فاختفت الدموع التى تسكب من أجـل البعيديـن عن المسيح، وتحولت خدمتنا إلى عمل مـادى ليـس فيـه روح، وأصبح تحضيرنا لدروسنا هو عملية تربوية صرفة، تهتم فيما هـو ظاهرى ومادى، وانقلبت مقاييس النجاح فى الخدمـة، حتـى ولـو هلكت فيها نفوس وابتعدت عن المسيح، أما الضيق والتعب فلا نقبله فى خدمتنا، واهتممنا بالعدد، وأصبح هو مقياس النجاح، فكثر العـدد فى إجتماعاتنا وحفلاتنا، وفتر الكثيرون فى الروح، وفى حضـور الكنيسة، وفى فهم كلمة الله. فأصبحت خدمة جامدة ليس فيها حـب لخلاص الآخرين.

ولكن كيف خدم يسوع ... فى حب كامل، فسار مسافة طويلـة عند وقت الظهيرة، لكى ما ينقذ المرأة السامرية ويخلصها. وبـارك المرأة الخاطئة، ولم يهتم بالرجل العظيم الذى دعاه للحفل، وأعلـن أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من ٩٩ بارا لا يحتـاجون

لتوبة، ولم يهتم بالعدد ولا بالمظهر، وفرح فرحا عظيما عندما وجد الدرهم المفقود والخروف الضال، وعانق إبنه عندما رجع إليه.

هكذا أيها العزيز إن كنت تريد خدمة مقبولة، وصفقة رابحة فقس خدمتك بمقياس الحب المقدس للمسيح الذى "بين محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" بل ينبغى أن يمتلئ قلبنا بالحب لأجل خلاص الآخرين "إنه على كل وجه، سواء كان بعلة أم بحق ينادى بالمسيح وبهذا أنا أفرح، بل سأفرح أيضا" فى ١: ١٨.

وهكذا بولس الرسول يعرف حقيقة الخدمة وجوهرها، معبرا عنها فى آياته الخالدة قائلا: " لأنى حافظكم فى قلبى وفى وثقى وفى المحاماة عن الإنجيل ..." فى ١: ٧، بل وفى خطابه الأخير من ميليتس إلى قسوس الكنيسة فى أفسس، يقول فى أع ٢٠ "كيف كنت معكم كل الزمان، أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة، وبتجارب ... ولكننى لست أحتسب لشئ ولا نفسى ثمينة عندى، حتى أتمم بفرح سعيى، والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله ... متذكرين أنى ثلاث سنين، ليلا ونهارا لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد ..." أع ٢٠: ١٨-٣١.

خدمة الحب المقدس ... خدمة خلاص النفوس ... هى أيضا خدمة الصلاة "بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح

كى يعطيكم بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم، أف ٣: ١٤-١٧.

+ + +

[خامسا] علاقاتنا بالآخرين

سأل ناموسى السيد المسيح قائلا: مـــاذا أعمـــل لأرث الحيـــاة الأبدية، فأجاب وقال: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك. فقال بالصواب أجبت ... إفعل هذا فتحيا.

ومن هو قريبى؟!

أجاب يسوع وذكر له قصـــة الســـامرى الصـــالح، وكيـــف أن الشخص الغريب الجنس صنع معروفا مع إنسان يهودى عـــدو لـــه بينما لم يصنع معه أقرباؤه (الكاهن واللاوى) هذا المعـــروف، بـــل تركوه بين حى وميت ... ثم قال له يسوع ... إذهب أنـــت أيضـــا وافعل هذا ...

لذلك ينبغى أن تقوم علاقتنا مع الآخرين على أســـاس المحبـــة، حتى مع أعدائنا ... وكيف ذلك؟ كيف نحب أعداءنا؟! إنه بلا شـــك أمر صعب جدا ... كما أنه سهل جدا!! صعب بالطبيعة البشرية ... وسهل بالطبيعة الإلهية.

لقد قتل قايين هابيل فى بدء العالم، ولقد مات الإبن الوحيد الجنس من أجل الخطاة وهو لم يعمل خطية.

وبينما تبدو وصية المحبة ثقيلة على الناس العالميين، نجد أنها تصبح سهلة على المسيحيين الحقيقيين، فالذى لا يستطيع أن يحب الآخرين، هو بالتأكيد لم يختبر الحب الإلهى نحو الله، أما الذى أحب الله واتحد به وأخذ منه، (إذ أنه هو ينبوع المحبة) وصار واحدا مع الله، أى صار إنسانا مسيحيا، فهو بالتأكيد يفيض قلبه حبا من نحو الآخرين. إذ أنه قد صار متحدا بالإله المحبة ... فكيف لا يحب فيما بعد الآخرين؟

" أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا، لأن المحبة هى من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله" ١يو ٤: ٧. "الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه" ١يو ٤: ١٦ "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله ..." فإن هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياه ... ووصاياه ليست ثقيلة، لأن كل من ولد من الله يغلب العالم ..."، من هو الذى يغلب العالم إلا الذى يؤمن أن يسوع هو إبن الله" ١يو ٥ ، "لأن يسوع وحده هو الذى سبق فغلب العالم" ... وهكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو ٣: ١٦)، وعندما

نعيش مع الله ونسلك حسب وصاياه ونتحد بـــه، نصـــير أولادا لله، وعلى صورته، وتصبح محبتنا للجميع أمرا سهلا ولا نبـــذل فيـــها مجهودا، بل تصبح من طبيعتنا، إذ أن الله حال فينا، فنحب ويـــزداد حبنا بلا تعب وبلا مقابل، فهو حب غير ناقص لأنه ليس منا بل من الله الساكن فينا.

فإن كنت ترى ثقلا فى وصية الرب - أن تحب الجميع - فعليـــك أن تبحث أولا فى علاقاتك بالله، ومدى اتصالك به، وهل هو متحـد بك ... إبحث ذلك جيدا، لئلا تبتعد عن الطريق لأن من يبغض أخاه فهو قاتل نفس... وعلينا أن نقف فى الطريق وقفة طويلة، ســـائلين: لماذا لا يسمع الله صلواتنا؟ ولماذا لا يعطينا عندما نطلب؟ ولماذا لا يقبل أصوامنا؟ ولماذا ؟ ...

يا إخوتى "إن كان الطريق إلى الله، هو محبة المسيح؟! وإن كان كل شئ فى حياتنا وعبادتنا أن يكون كتعبير عن محبة المســـيح، إذا فكيف الوصول ؟!...

[أولا] حيـــاة الشـــكر

عندما نتأمل فى الطفل الصغير، وكيف تتكون عنـــــده عاطفـــة الحب نحو والده، نجد أن الطفل يتطلع إلى والديه فيجد أنهما مصدر كل عطية صالحة، فإذا طلب شيئا، أعطاه والده، وحتى عندما يدخل

الوالد من باب المنزل يستقبله الطفل قائلا: ماذا أحضرت لى معـك؟ وعندما يمرض يجد من يهتم به ... وهكذا فإن الشعور بعطايا الأب لا بد وأن توصلنا إلى علاقة عميقة من الحب معه. ولنتطلـــع الآن إلى شعور القديسين نحو الله. فيقول القديس غريغوريوس "إنك ثبـت لى الأرض لأمشى عليها" ... ألسنا كلنا نسير على الأرض، ولكننــا لا نتذكر أنها عطية من الله لأجلنا. أما داود النبى فيسير فى وســط المراعي الخضراء، وأمامه خرافه الصغيرة، فإذا به يـــرى أن الله يرعاه كهؤلاء الخراف فيرنم قائلا: "الرب راعى فلا يعوزنى شئ".

وليس هذا التدريب بالصعب، بل إنه سهل جدا، فعليك أن تشـكر الرب كلما أعطاك عطية صالحة، فتشكره لأنـــه أعطـــاك الحيـاة وعندما تقوم من نومك فى الصباح، أول كلمـــة تفتـــح بـــها فمـــك "أشكرك يارب لأنك منحتنى نوما سالما هادئا"، وعندما تتقدم إلــــى الطعام، أشكره من أجل خيراته، وفى وسط عملك اليومى تســـتطيع أن تتصل بالله، دون أن يشعر أى إنسان، شاكرا إياه على ما يعطيك من نجاح فى عملك ... وهكذا فى جميع نواحى حيـــاتك الماديـــة، ولكن هناك ما هو أعظم من ذلك، أن تشكره على ما أعطاك فــــى حياتك الروحية، إن آخر صلاة تقال فى نهاية القداس هى "وأيضــــا فلنشكر الله الآب، لأنه جعلنا أهلا، أن نقف فى هذا المكان المقـدس،

ونرفع أيدينا إلى فوق" ... وعندما يعطيك الرب تأملات روحية في قراءاتك في الكتاب المقدس، فاشكره ... وعندما تنمو في أي فضيلة مقدسة أشكره ... إنه مصدر كل عطية صالحة، وتذكر كلمات ماراسحق "ليست عطية بلا زيادة إلا التي بلا شكر".

ولهذا جعلت الكنيسة صلاة الشكر، بدء كل صلوات الكنيسة. وصلواتنا الفردية ... إذ إنها تعبير صادق ودليل على حبنا لله. إن علاقة مثل هذه بين الآب وإبنه، علاقة شكر وإحساس بنعم الله. لهي أعظم وسيلة لتقوية حبنا لله. ولقد وصل القديس بولس إلى أعمق درجات الإحساس بعطايا الله. عندما قال "الذي به نحيا ونتحرك ونوجد".

[ثانيا] المسيح على الصليب

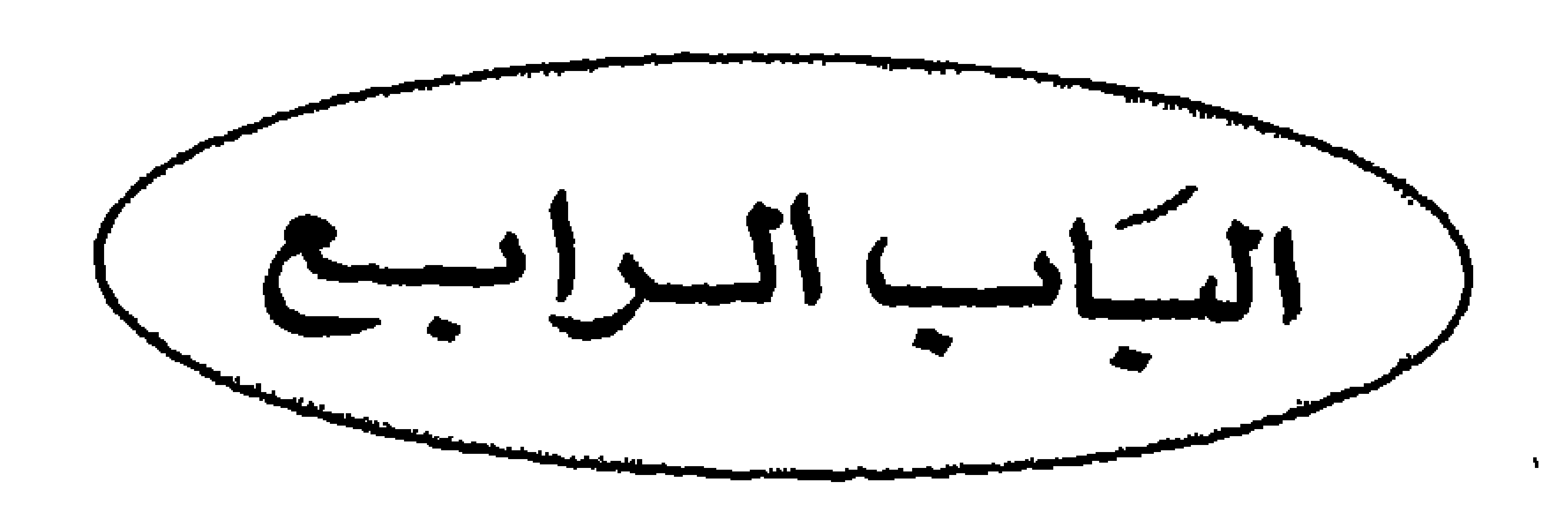
إن أعظم حدث يهز حياتنا. ويؤثر فينا. هو موت المسيح لأجل خلاصنا. وفي هذا يقول بولس الرسول "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء. مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت. ولكن الله بين محبته لنا. لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" رو ٥: ٦-٨. كان محكوما علينا بالموت الأبدي من أجل آثامنا. فتقدم إنسان ومات عنا لكي نحيا نحن ... إن حبه هذا الذي أحبنا

به. يدفعنا إلى أن نحبه من كل القلب والفكر والقدرة. ولهذا وضعت الكنيسة دائما على الحجاب أمام أعيننا صورة المسيح معلقا على الصليب ... إذ أنه أعظم موضوع يجب أن ترتفع إليه عقولنا وإحساساتنا عندما نصلى "لأنى لا أعزم أن أعرف بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا".

كان لأحد القديسين تلميذ، وفى يوم زار المعلم تلميذه. فوجد أمرا عجيبا فى كتابه المقدس. إن كل صفحة بها كلمة "يسوع" (أى بمعنى مخلص) ممسوحة أو باهتة ... فسأل تلميذه ما السر فى ذلك ... فسكت أولا، وبعد إلحاح قال يا سيدى كلما اقرأ تنهمر الدموع من عينى. إذ أتذكر خلاصه وموته لأجلى أنا ... وكيف تألم وتعب لأجلى على الصليب. فتتساقط الدموع على الكتاب حول هذه الكلمة...إن موضوع صلب المسيح لأجلنا ينبغى أن يكون موضوع تأملنا فى كل يوم، إذ إنه دليل حبى لله. وهو غاية ما أريد، أن أخلص بموت المسيح لأجلى وأن أحبه من كل قلبى لأجل هذا الحب الذى غمرنى به بدون إستحقاق!!

تدريب : ١. درب نفسك على أن تشكر المسيح باستمرار على نعمه

٢ . درب نفسك على التأمل فيما صنع المسيح على الصليب من أجلك.



أنا هوَ الطَريق

+ "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بى"

(يو ١٤: ٦)

+ "الذى رآنى فقد رأى الآب ... أنا فى الآب والآب فى".

(يو ١,٤: ٩، ١٠)

أنــــا هو الطريـــــق

" أنا أمضى لأعد لكم مكانا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتى أيضا وآخذكم إلى، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا، وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق. فقال له توما: يا سيد لسنا نعلـــم أين تذهب ، فكيف نقدر أن نعرف الطريق. فقال له يسوع:

أنا هو الطريق والحق والحياة

ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى"

(يو ١٤)

وهكذا أوضح لنا السيد المسيح أنه هو الطريق الوحيـــــد الـــذى يوصل إلى الآب، وأنه يريدنا أن نعرف ذلك تمامـــا، لئـــلا نضـــل الطريق، وعبثا نحاول الوصول إلى الآب بغير طريق الإبن.

+++

[أولاً] من رآنى فقد رأى الآب

فى يوم دخل بولس الرسول مدينة أثينا، فوجد هيكلاً مكتوباً عليه "لإله مجهول" ... كيف ذلك؟ ليس هذا فى الواقع هو ما حدث فى أثينا فى تلك الأيام فقط، بل هو ما يحدث فى جميع الديانات العالمية فهذا إنسان يصلى ويصوم ويقدم تقدماته إلى الله، ومن هو هذا الإله؟ هل تعرفه؟ كلا ... إنما أسمع عنه. وهكذا كل ديانة، وكل إنسان يصور لنفسه إلها كما يريد.

ولكن على العكس من ذلك، إذ جاء الإبن، الإله المتجسد، الأقنوم الثانى، جاء فى جسد إنسان، وعاش بيننا، ورأيناه بأعيننا ولمسته أيدينا، فيقول عنه القديس يوحنا "الذى كان من البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" ١ يو ١.

فعاش ربنا يسوع المسيح بيننا، فرح مع الفرحين فى عرس قانا الجليل، وبكى عندما مات صديقه لعازر، وشفى مرضانا وحمل أوجاعنا ... فنحن نعرفه تماما وكل إنسان عرف الإبن إستطاع معرفة الآب، فاختبرنا محبة الآب فى موت المسيح لأجلنا، واختبرنا قوته لأنه أقام لعازر أمام أعيننا، وله سلطان أن يغفر الخطايا، إذ غفر خطايا المفلوج فقام وحمل السرير ومشى، وله سلطان أن يأمر

الطبيعة، فأمر البحر فهدأ، ورأيناه يسد كل احتياجاتنا، فعندما طلبه بطرس ليشفى حماته لم يتأخر.

وبهذا عرفنا الآب لأننا عرفنا الإبن وعشنا معه، وهو قال إنه والآب واحد، فلسنا نعبد إلها مجهولا بعد، ولا نتحدث عن إله خيالى كتبت عنه الكتب، بل أكثر من ذلك إننا نتحدث عن وقائع ثابتة فعندما نؤمن بقيامة الأموات، فنحن نعلم ذلك يقينا، إذ قام وأقام الكثيرين...

+ + +

[ثانيا] صالح السمائيين مع الأرضيين

لقد كان الطريق إلى السماء مغلقا، منذ ذلك الوقت الذى طرد فيه آدم وحواء من الجنة كنتيجة لتخلى الله عنهما فظهر فى ضعفهما البشرى، ووضع ملاكا ليحرس الطريق المؤدى إلى شجرة الحياة، وصارت العداوة قائمة بين الله والناس، ولم يستطع أى إنسان أن يفتح ذلك الطريق إلى السماء، لا ملاك ولا رئيس ملائكة، ولا نبى، لأن فتح ذلك الطريق يحتاج إلى مصالحة وفداء وموت لأجل الجميع، ولم يكن يستطيع أن يفدى البشر إنسان أو ملاك ويحمل أخطاءهم ويفى دينهم بعد، إلا يسوع المسيح وحده الذى يستطيع أن ينقض الحاجز المتوسط بيننا وبين الله.

ويقول عنه بولس الرسول "إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضدا لنا وقد رفعه مسمرا إياه بالصليب، كو ٢: ١٤. فهو وحده الذى يقدر أن يقدم عنا فداء لأجل خطايانا، وهو وحده الذى يستطيع أن يفتح لنا الطريق إلى الآب، وبذلك صالحنا مع الآب، إذ يقول بولس الرسول "ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، أى أن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم" ٢كو ٥: ١٨، ١٩. وقدمت لنا هذه الخدمة أى المصالحة مجانا، إذ أننا كلنا محتاجون إليها إذ يقول الكتاب "إنه ليس بار ولا واحد" رو ٣: ١١. " متبررين مجانا بنعمة الفداء الذى بيسوع المسيح، الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا. السالفة بإمهال الله ، ولإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون بارا ويبرر من هو من الإيمان بيسوع" رو ٣. ويقول بولس الرسول فى رسالته إلى أفسس عن هذه المصالحة "ولكن الآن فى المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ، لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحدا ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنسانا واحدا جديدا صانعا سلاما، ويصالح الإثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به ..." أف ٢.

والآن ألا يمكن الوصول للآب بدون المسيح؟

وهل المسيح هو الطريق الوحيد؟؟!!!

يقول معلمنا بولس الرسول "لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب" غل ٢.

إذ الجميع أخطأوا، ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد وحكم على الجميع بالموت، وهناك ديانات كثيرة مليئة بالوصايا الجميلة، ولكن ما قيمة هذه الوصايا ؟ يقول عنها بولس الرسول إنها هى التى عرفته الخطية "بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس، فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته ، ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية ، أنشأت فى كل شهوة ، لأن بدون الناموس الخطية ميتة. أما أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا ، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية ، فمت أنا".

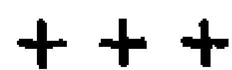
يمكنك أن تتصور معى قيمة النواميس التى وضعتها الديانات إنها تشبه المرآة. إنسان فى وجهه بعض الأقذار ، يتطلع فى المرآة فيرى الأقذار ، ولكن المرآة لا يمكن أن تمسح الأقذار.

وهكذا يقول بولس الرسول ، أنه لو وجد إنسان واحد لم يفعل الخطية إذا لم يكن هناك ضرورة لموت المسيح ، وهكذا يؤكد لنا أن موت المسيح هو الطريق الوحيد للمصالحة مع الله ، حتى

الأنبياء والقديسين ، ويجب أن نفهم معنى كلمة القديسين ، ليس القديسون هم أناس لم يصنعوا خطية أو لم يحكم عليهم بالموت ، ولكنهم أناس مجاهدون ضد الخطية. ماتوا على رجاء الخلاص بالمسيح ، حتى السيدة العذراء تقول: تبتهج روحى بالله مخلصى... ليس ولا واحد. الجميع أغلق عليهم تحت الخطية ... والجميع حكم عليهم بالموت ولا يوجد أى طريق آخر غير المسيح البار، والإيمان بخلاصه للوصول لله.

فعندما نصلى ، تصل صلواتنا للآب عن طريق المسيح ، "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ، وهو كفارة ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا العالم أجمع" ايو ٢: ١،٢.

فهو شفيعنا عند الله الآب، وهو بكل تأكيد طريقنا الوحيد للوصول إليه.



[ثالثا] يحل فينا ويقودنا إلى الآب

"أما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية ، لأنى لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإنى أصادق الناموس أنه حسن ، فالآن ليس ساكن فى (أى فى جسدى) شئ صالح ... فلست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل ، فإن كنت ما لست اريده إياه أفعل، فلست بعد أفعل أنا بل الخطية الساكنة فى ... ويحى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت" رو ٧.

والآن يمكننا أن نستنتج كما استنتج بولس الرسول سبب الخطية أنه ليس من الناموس أو الوصايا الموجودة فى الكتاب فهى وصايا حسنة. بل إنها من الجسد ومن نفوسنا، وبين لنا أيضا أنه مهما حسنت الوصية ، فهى حسنة فى ذاتها ، ولكنها قاصرة لا يمكنها أن تحول طبيعتنا عن الخطية، هنا يجب أن نميز بين المسيحية والديانات الأخرى ، فجميع الديانات الأخرى أتى أنبياؤها بوصايا حسنة ، ولكن ماذا أستفيد من هذه الوصايا مادام الخطأ فى طبيعتى، ولكن فى المسيحية أتى الله متجسدا ، واضعا لنا طريقا آخر فى المسيح يسوع إذ أخذ من طبيعتنا ، فصار إنسانا ، وأعطانا من طبيعته فصرنا شركاء للطبيعة الإلهية ... شابهنا فى كل شئ. يقول

عنه بولس الرسول "من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شئ لكى يكون رحيما ورئيس كهنة أمينا فى ما لله ، حتى يكفر خطايا الشعب لأنه فيما هو قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين" عب ٢: ١٧، ١٨.

عاش المسيح بيننا ، وقال: من منكم يبكتنى على خطية ، وربما نحتج بأنه إن كان المسيح لم يفعل خطية فلأنه إله ، ولكننا بشر ومعلوم عن طبيعتنا أنها ضعيفة فكيف نصير مثله؟ ... ولكن ينبغى أن نعلم أن المسيح جاء إنسانا كاملا "أخلى نفسه، آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب" فيلبى ٢: ٧.

لقد ترك الله كل ماله وأخلى نفسه، وترك مجده حتى يمكن أن يتجسد ، إذ يستحيل على الله فى مجده أن يحل فى وسطنا فى بطن عذراء ، فإن مجده كان يرعب شعب بنى إسرائيل فى القديم، وهكذا ترك مجده، وصار مثلنا، يصلى للآب، ولكن من أجل طاعته العظيمة للآب، أعطاه الرب مجدا عظيما نظير ذلك، فعندما تحدث للآب قائلا: مجدنى بالمجد الذى كان لى قبل كون العالم ، سمع صوت الآب يقول: مجدت وأمجد أيضا وهكذا سلك المسيح فى العالم كإنسان وأخذ المجد كإنسان لأجل طاعته لله ولم يصنع خطية

بقوة الله الحال فيه، وأعطانا طريقا عجيبا، إننا نستطيع بوجـــود الله الحال فينا، والله يحل فينا بالإيمان والطاعة، وإن كان بولــــس قــد اشتكى من ضعفه وضعف جسده قائلا: "ويحيى أنا الإنسان الشــقى، من ينقذنى من جسد هذا الموت"، فإنه يردف قائلا: "أســتطيع كــل شئ فى المسيح الذى يقوينى"، ومرة أخرى يقول: "بينما أنا ضعيـف فحينئذ أنا قوى" ومرة أخرى: "أنا ما أنا، ولكن نعمــــة الله العاملــة فى". وكما كان للسيد المسيح سلطان على الخطيــة مــن أجــل الله المتحد به، هكذا يصير لنا نفس القوة بإتحاد الله بنا.

وأصبح لنا أن نعمل الأعمال التى يعملها المسيح بـــل وأعظــم منها كما قال هو، والواقع أننا لا نعملها، بل هو يعملها بواســـطتنا، فيقول بولس الرسول: "لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فـــى"، وأصبــح الإنسان المسيحى هو مجرد إناء طاهر لحمل الله، فيقــول القديــس بطرس "إن كان أحد يخدم، فكأنه من قوة يمنحها الله لكى يتمجـد الله فى كل شئ بيسوع المسيح" ١بط ٣: ١١.

فالمسيح هو الطريق الوحيد للإنتصار، لأنه ما الفائدة أن يتبارى أصحاب الديانات فى وصاياهم، ولكننا نقف فاشلين أمامها؟!

وما هو طريق الإتحاد بالمسيح ...؟ إنه:

أ- طريق الصلاة والإيمان

فبالايمان يحل الله فينا ونصير واحدا في المسيح، وإيماننا بموت المسيح وقيامته يكمل فى إيماننا بوجوده متحدا بنا، فحلول الروح القدس فى يوم الخمسين على التلاميذ وحلوله فى نفوسهم هو الذى أعطاهم حياة القوة والإنتصار والروح القدس الذى حل علينا يوم مسحنا بالميرون، نحتاج إلى الإمتلاء منه بالإيمان لئلا يكون وجوده فينا شهادة ضدنا فى يوم الدين، بل على العكس، فلنمتلئ من روح الله بالإيمان والصلاة وانسحاق القلب وإنكار الذات ، طالبين عمله فى حياتنا الضعيفة، لذلك ربما نتساءل: هناك كثيرون قد حَل عليهم روح الله ، ومع ذلك فإنهم سالكون بعيدا عن الله، فلماذا؟ السبب فى ذلك أنهم لم يمتلئوا بعد من الروح القدس، ومع وجود الله معهم فهم لا يطلبونه، والله لا يفرض نفسه علينا لأنه لا يريد أن يفقدنا حريتنا.

لذلك ينبغى أن ننتبه إلى عظمة القوة الموجودة فينا، أى قوة الروح القدس التى أخذناها بعد المعمودية، وعلينا أن نجاهد طالبين شفاعة الروح القدس، لأن الكتاب يقول عنه "الذى يشفع فينا بأنات لا ينطق بها"، وليحذر البعض من إعتمادهم على أنهم قد نالوا حلول الروح عليهم، أو أنهم أبناء الكنيسة الأرثوذكسية ... ومع ذلك فهم

لا يحسون بوجود روح الله فى داخلهم ... ماذا سيقولون أمـــام الله؟ سيدعون أنهم أبناء القديسين، ونالوا الروح القدس ... وسيقول لـــهم الله أخذتم مواهبى ودفنتموها، لو كنتم عميانا لما كانت لكم دينونـــة، ولكن لأنكم تبصرون فدينونتكم باقية، كان الله قادرا أن يخلق مــــن الحجارة أولادا للكنيسة الرثوذكسية، لكنه لم يعمل ذلك لوجودكم..!

إن الذين لم ينالوا البنوة من الكنيسة الأرثوذكسية، أكثر حــرارة فى طلب الروح والإمتلاء منه ... فما بالنا نحن الذين أخذنا كل هذه النعم المجانية من الله!

وهناك صنف من المسيحيين حل عليه روح الرب، ومع ذلـــك فهو يجاهد فى الصلاة طالبا التوبة من الله، فيسقط ويقوم، إنه يحتاج إلى تنقية الإيمان وقوة الإمتـــلاء ... ومـــع أن التلاميـــذ أخرجـــوا شياطين كثيرة، إلا أنهم فشلوا يوما أمام إخراج شـــياطين، وســـألوا لماذا لم نقدر أن نخرجه؟ فكان الرد أنه يحتاج للصلاة والصـــــوم، هذا الصنف هم المجاهدون فى الكنيسة الذين سيحسب الـــرب لـــهم جهادهم أكاليل مجد، والروح يسندهم بقدر ما يحتملون من إعلاناتـــه لهم.

ب - الإتحاد مع جسد المسيح ودمه

ويقول كتاب حياة الصلاة عن هذا السر العظيم ... إن الشجرة الرديئة الثمر إذا أريد تحسينه، تطعم فى شجرة ثمرها جيد عندئذ تستطيع الشجرة الرديئة الثمر أن تأتى بثمر جيد، هو ليس منها ولكن من الطبيعة الجيدة التى طعمت بها، هكذا نحن أيضا فى تناولنا نتحد بطبيعة إلهية فتصير ثمارنا جيدة، وهى ليست منا بل من الطبيعة الجديدة.

ولا بد أن يسبق هذا الإتحاد، الإيمان بأن هذا الجسد وهذا الدم للمسيح يسوع وبقدرتها على تغيير الطبيعة وبالقوة الكامنة فيها وبضعف الطبيعة البشرية، وهذا هو معنى الإستحقاق الذى قصده معلمنا بولس الرسول إذ يقول: "من يأكل من هذا الجسد ويشرب من هذا الدم بدون إستحقاق" (اكو ١١). وهكذا نصبح متحدين بالآب، كما أن المسيح أيضا واحد فى الآب، فما المنفعة يا إخوتى أن نتقدم إلى المائدة الإلهية وإيماننا فاتر ضعيف ... ولماذا لم نحس بوجود الله مع أنه فينا؟... أليس هذا لفتورنا وضعف إيماننا؟ لذلك يقول معلمنا بولس الرسول: "من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون".

وسر التناول المقدس ضرورة لازمة، كقول السيد المسيح "إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم".

فتناولنا باستحقاق أى بإيمان واحتياج كامل إلى الله سيكون مصدر بركة كبيرة لنا، لذلك فإننا نتساءل، كيف يعيش المبتعدون عن التناول باستحقاق، وعن علاقتهم بالمسيح، وعن مدى تقدمهم فى حياتهم الروحية؟ ...

إن كان الآباء السواح مع ما بلغوا من مراتب روحية عالية، يقومون بعمل القداسات فى بعض الكنائس فإن هذا يؤكد لنا ضرورة وأهمية هذا السر لحياة الإنسان.

وعندما نتحد بالله، نصير شركاء الطبيعة الإلهية، ونعمل البر كما صنعه المسيح عندما أطاع الآب فمجده الآب، وعمل المسيح كل ما يعمله الآب، وأصبحت هناك إرادة واحدة ومشيئة واحدة لهما معا. وباتحادنا بالمسيح يعلن المسيح لنا عن الآب، ويرينا الطريق ويقول ربنا يسوع "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم، أيها الآب إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى وعرفتهم إسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" يو١٧: ٢٤، ٢٦.

وبعد هذا نسأل بعض أسئلة ...

س- لماذا يتألم المسيح عندما نخطئ إليه؟

ج - ذلك لأننا صرنا واحداً فيه، فكيف نصنع الخطية وهو حاضر فينا؟ إن يسوع قد حمل أخطاءنا وهو مسرور بإرادته على الصليب، لكنه لا يرضى أن نصنع الخطية وهو موجود فينا.

س- هل تصبح أعضاء جسمنا متحدة بالمسيح؟

ج - يقول بولس الرسول: "أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية"، وهو يقصد بذلك أعضاء الإنسان الذى اتحد بالمسيح فأصبح كل عضو فى جسده هو عضو للمسيح.

س- إن كان الله متحداً بنا، فما موقفنا منه أثناء الصلاة؟

ج -يقول ق. أوغسطينوس أنه بحث عن الله فى كل مكان، فى الطبيعة وفي الكتب ولم يجده ولكن عندما بحث عنه فى داخله وجده هناك عميقاً جداً فى أعماق نفسه، وهذا يجعلنا في صلواتنا متأكدين تماماً من سماع الله لها، وسرعة إستجابته، وكما سبق لا يمكن أن نصل إليه إلا إذا هدأت نفوسنا من رباطات هذا العالم وارتباكاته.

س -لماذا نصنع الخطية مع أن المسيح متحد بنا؟

ج - لأن الله لن يفرض علينا خلاصه، ولكننا عندما نطلبه بالصلاة لا يتأخر أن يعمل فينا.

[رابعاً] تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته

(ابط ٢: ٢١)

عاش السيد المسيح بيننا إنساناً كاملاً، أخلى ذاته ... وجاء إلى الأرض إلهاً متجسداً. وفى كل خطوة كان يخطوها كان ذلك من أجلنا نحن وليس من أجله هو ...

فولد فى مزود البقر، لكى يضع أمامنا الدرس الأول ... إن بداية الطريق هى حياة الإتضاع ... ولا يمكن الدخول إلى المجد إلا عن هذا الطريق، وفى كل عمل وكل حادثة ستلمس أن هذا الإتضاع الأول فى مزود البقر دائم فى حياة المسيح، الذى أطاع حتى الموت، إعتمد ليكمل كل برّ، وصام لأجلنا أيضاً ليرينا طريق الصوم المقبول، وجُرِب من الشيطان ثلاث تجارب، ليس لها قيمة بالنسبة للسيد المسيح ولكن لكى يرينا كيف نسلك فى التجارب فحاربه الشيطان بالجوع، وبالكبرياء، وبتجربة الطريق السهل، وفى كل مرة إنتصر المسيح بقوة الكلمة المحفوظة فى داخله، فعلمنا أثر الكتاب المقدس فى حربنا مع العدو.

وبعد أن انتصر جاءت ملائكة وخدمته، وهو الذى تخدمه الملائكة ليل نهار، ولكن ذكر الكتاب المقدس هنا خدمة الملائكة لكى يضع أمامنا طريقاً، إن من ينتصر فى حربه مع العدو الشرير

يستحق خدمة الملائكة (عن كتاب الآباء الحاذقون فى العبـــادة - الجزء الثانى).

وأرانا السيد كيف نعامل الآخرين، وكيف نحب الأعداء، وكيـف نسعى لخلاص النفوس ... فأرانا كيف أنقذ المرأة السامرية وكيــف رفض إنزال النار لتحرق السامرة لأنها رفضت الكلمـــة، وعلمنـا أيضاً كيف نكره الخطية ونحب الخطاة، فصفح عن المرأة الخاطئـة، والزانية، وجلس مع الخطاة والعشارين وخلّص كثيرين منهم.

ووضع للخدام الطريق، فكان يمضى الليل كله فى الصلاة، وفى النهار يجول يصنع خيراً، ويشفى كل مـــرض، وقبـل أن يختـار تلاميذه الإثنى عشر أمضى الليل كله فى الصلاة.

وكان طويل الأناة فاحتمل ضعفات تلاميذه وقاوم ما فيهم مـــن ضعف، واتضع بينهم وصار لهم خادماً، فغـرس فيـهم الإتضـاع وعندما أتى الشيطان ليغربلهم كالحنطة كان يصلى لأجلهم بينما هـم نيام.

وعلمنا كيف نسلك فى حياتنا الاجتماعية، فأعطى مـــا لقيصـر لقيصر وما لله لله، ودفع الدرهمين، فكان مواطنا مخلصا لوطنــــه، أطاع رؤساء وخدم وطنه وأدى واجبه.

وعندما أتى الوقت ليقول الحق، قاله ... ولو أدى ذلك لموتـــه، وبين لنا أنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس. وعندما لطمه عبــد رئيس الكهنة قال له لماذا تلطمنى - وعندما رأى الهيكل قــد دنــس بالباعة والصيارفة غار غيرة الرب وطرد الجميع، وقـــاوم الكتبــة والفريسيين المرائين فى وجوههم، وكان للحق منبرا عاليا، واهتـــم بأعماق النفس أكثر من المظاهر الخارجية فطـــوبه التـــى أعطـــت الفلسين أكثر من الذين ألقوا نحاسا وفضة وذهبا فى الخزانة.

وكان إنسانا محبا رقيقا فى شعوره، فرحب بالأطفال وباركـــــهم وكان له أصدقاء يبيت عندهم مثل لعازر حبيبه، وفرح مع الفرحيـن وأطاع أمه وحول الماء خمراء وبكى مع الباكين وواســـاهم وأقـــام ميتهم.

لذلك يجدر بنا أن نسلك فى حياتنا هذه كما سلك المســـيح فـــهو الطريق الوحيد الذى ينبغى أن نتبع خطواته.

وأخيرا إلى الصليب ... ولقد عرض الشيطان على المســـيح أن يصل إلى المجد عن طريق سهل " إن خررت وسجدت لى، أعطيك جميع ممالك الأرض، فقال له "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبــد ، ورفض السيد المسيح أن يملك على العالم إلا عن طريق الصليـــــب

من أجل العالم، ولولا هذا الصليب بآلامه لما كانت القيامة المجيدة والفرح الدائم وحلول روح الله القدوس.

لذلك من يسير مع المسيح ينبغى أن يولد فى أول الطريق، فى مزود الإتضاع الذى للبقر، ثم يسلك كما سلك سيده فى حربه مع الشيطان، وفى معاملاته للآخرين، وفى صنعه الخير ... ويحمل صليب يسوع، ثم يقوم معه أيضا "إن كنا نتألم معه فسنتمجد معه أيضا"، "صادقة هى الكلمة إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضا معه، إن كنا نصبر فسنملك أيضا معه" ٢ تى ٢: ١١.

+ + +

فالمسيح هو طريقنا الوحيد إلى الملكوت لأنه:

- هو والآب واحد وعن طريقه عرفنا الآب.
- وقد صالح السمائيين مع الأرضيين وفتح الطريق إلى الملكوت بعد أن كان مغلقا.
- ويتحد بنا ويقودنا للآب فنصير واحدا.
- ووضع لنا مثالا لكى نتبع خطواته.

ولإلهنا كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.

+ + +

✝ بداية الطريق ...

إحتياج كامل ليعمل الروح القدس.

✝ وسط الطريق ...

حب مقدس يؤدى للسلام والفرح.

✝ نهاية الطريق ...

الاتحاد الكامل بالرب يسو

لأنه هو

الطريق والحق وا



